

6 me Année, No. 279

Lundi - 7 - 11 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السادسة — « القاهرة في يوم الأثنين ١٥ رمضان سنة ١٣٥٧ — ٧ نوفمبر سنة ١٩٣٨ » — العـــدد ٢٧٩

الفهـــــرس

من مآسي الحياة

شيـــطان !

كان الناس منذ عهد قريب يقرأون في القصص الغربية أفانين من فجور النفس وقحة الهوى و بغي الفتنة ، فتفيض عيونهم من الدمع رحمة للزوجة التي أعمتها الغواية ، وللزوج الذي أشقته الخيانة ، وللطفل الذي أيتمه الطلاق ؛ ثم يُسَرَّى عنهم أنها فجائع إن تكن في الغرب فنحن في الشرق ، وإن تكن من زور الخيال فنحن في حقيقة الواقع . حتى عشنا معيشة أوربا ، وفتحنا دورنا لكل طارق، وصدورنا لكل متودد، فأصبح ما يجري هنا صورة لما يجري هناك ، وما كان معدوداً من خداع الفن صار جارياً على نظام الطبيعة !

عرفت زوجين شابين تعارفا بالجمال وتآلفا بالحب ، ثم عاشا على اختلاف الدار والجنس معيشة أهل الجنة: صفاء غير مشوب، وولاء غير مكذوب ، ورخاء في ظلال النعيم والأمن يبسط المشاعر وينشر الأنس ويجمّل الحياة

كان الزوج مثلاً في الإخلاص والرعاية لزوجه ، فلا يفكر إلا فيها ، ولا يسعى إلا لها ، ولا يفهم وجوده إلا مضافاً إليها ومتصلاً بها . وكانت الزوجة آية في الوفاء والطاعة لزوجها ،

تقاسمه هم العمل، وتساهمه دعة المنزل، وتبادله رجاء المستقبل، وتتقلب معه فى الشدة والخفض غير متبرمة ولا متجهمة. وكانا معاً بهجة الأسرة وأنس الأصدقاء، فلا يخلو بيتهما من سمر، ولا ليلهما من زيارة، حتى أصبحا فى بيئتهما الخاصة مثلاً مضروباً فى الزوجية الموفقة والحياة السعيدة

وكانت حياتهما الأوربية تقضى عليهما أن يكابدا التعرف العارض والخلاط المستمر. والعصمة من شرور الأخلاق فى مثل هذه الحال لا تجد لها مناطاً إلا ثقة الزوج فى الزوج، واطمئنان النفس إلى النفس. وثقة الرجل المثقف فى المرأة المثقفة أصبحت فى المجتمع الحديث من القضايا المسلّمة والأمور المفروضة. فلا ينبغى أن تحوم حولها شبهة، ولا يقوم عليها جدل

وكان فيمن يختلف إلى بهوهما الأنيس الباش فتى من أهل الرواء، خداع الملامح، خلاب الأحاديث، يعد نفسه فى الطراز الأول من ثقافة الفكر والخلق. تقلب طويلا بحكم منصبه فى البيئات الدبلوماسية المختلفة، فحذق الكلام والهندام، ومهر الغناء والرقص، وأحكم النظرة التى تنفذ، والبسمة التى تقول، واللفتة التى تعجب؛ وامتلأ ذهنه من صور الدنيا وحوادث الناس، فكان جميل المحاضرة عذب المفاكهة حتى ليستولى على المجلس فلا يترك فيه مسمعاً إلى أحد. وكان مذّاعاً يتمزى على زملائه، ويتبجح بالحظوة عند رؤسائه، ويلقى فى روع السامع أن له المكانة المرفوعة والكلمة المسموعة والغد المضمون. فاستطاع بكل أولئك أن يخدع الزوجين بمظهره عن جوهره، فكبر فى نفس السيد، وحلا فى عين السيدة

* * *

ودخل هذا الفتى جنة الزوجين دخول إبليس، فحرك فيها السموم وسَفَى عليها الكدر! فلا الزهر نفاح باسم، ولا النسيم رخىّ أرج، ولا الجو بهيج طلق، ولا العش الصادح فى أفياء الشجر ناعم آهل! وسوس الشيطان لحواء قال لها: إن السعادة فى بيت غير هذا البيت، والثروة عند رجل غير هذا الرجل، والجاه فى منصب غير هذا المنصب! وهذه المزايا التى لك على الأتراب فى الجسم والفكر والطبع لم يجملك بها الله لتحبسيها فى هذا القفص الشعرى الذى تهدهده الأحلام على نغمات الحب والأمل. ليست الحياة كلها شعراً يا حواء! وإن بجانب النفس الشاعرة نفوساً أخرى هواها فى المال واللهو والسلطان والعظمة. ومن زعم أن نعيم الدنيا فى الغزل، وزينتها فى الرياض، وبهجتها فى المنى، فقد أنكر المعروف وتجاهل الواقع. وكان الشيطان المُغْوِى حدَثَ نساء، فعرف كيف يندس بالخديعة إلى الزوجة الضعيفة، فأصغت إلى نزغاته بأذنها ثم بقلبها. ثم أصبحت فإذا زوجها مسؤوم، وبيتها موحش، وعيشها تافه؛ وأحست برباط الزوجية يشتد على حناياها اشتداد الوثاق على ضلوع الأسير. لم تعد الجنة فى عينها هى الجنة، ولا آدم فى قلبها هو آدم! وأوهمها الخيال أو الخبال أن النعيم المقيم هو فى أكناف إبليس على متون السحب وربى الجبال وشطئان الأبحر. ولكن عشر سنين قضتها مع الزوج الوفى فى نشوة متصلة من الحب المواسى لا يمكن أن تخفت أصداؤها العذبة فى لحظة. فكانت كلما تخلصت من فعل الغواية صارحت زوجها بأنها تحب هذا الفتى حباً غطى على بصرها وبصيرتها فهى لا ترى ولا تفهم. وسألته يوماً أن يحتال لبرئها من هذا الخبل، فاتفقا على أن ترحل إلى أوربا تنشد فى أجوائها المختلفة السكينة والسلو، حتى إذا أقبل الصيف وتعطل العمل لحق بها زوجها، فربما انجاب الغشاء عن العين والقلب فأبصر الأعمى ورشُد الغوى! ولكن الفاجر علم بسفرها المفاجئ فطلب إجازة طويلة من الوزارة التى يعمل فيها وتبعها إلى مصيفها وهى وحدها توازن فى هدوء العزلة بين ماضى الزوج الواضح ومستقبل الحبيب المبهم، فأسقط من يدها الميزان، وأيقظ فى نفسها الحيوان، وأفسدها على نفسها وعلى زوجها وعلى أهلها فساداً لا يرجى معه صلاح!

ثم امتدت يد القدر تحل عقدة الرواية، فإذا الزوج وحيد يعانى غصص الألم، والزوجة مطلّقة تتجرّع مرارة الندم، والشيطان الرجيم يقطع البحر عائداً إلى منصبه الكبير فى وزارة الخارجية يشارك فى أمور الدولة على هذا الخلق، ويتصل بالأمر المخدوعة على هذا الوجه..!

احمد حسن الزيات

في رمضان

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

ليقل من شاء ما شاء ، فاني أعتقد أن الله تعالى يغفرلى ذنوبى وخطاياى جميعاً جزاء لى على صبرى فى رمضان . ومن كان له أولاد كأولادى ، وخدم كخدمى ، فان هؤلاء شفاعة كافية له بلا نزاع ، وإذا كان القارئ لا يصدق ، ولا يؤمن كإيمانى بشفاعة هؤلاء لى ، فلينتظر حتى تقوم الساعة وينصب الميزان

عددت أبواب الغرف وما إليها فاذا هى عشرون ، ومنها تتألف جوقة موسيقية لا تفتر ولا تهدأ فى ليل أو نهار ، وقد يئست من حمل خادمتنا العجوز التى حماتنى طفلا — على كتفها أو ذراعها لا فى . . . — على تزييت هذه الأبواب ، وما أكثر ما قلت لها إنى أشفق على هـذه الأصوات الرخيمة أن تبح ، فكانت تبتسم — أو تظن أنها تبتسم — وتقول : « الله يخليك يا سيدى ! » . فأقول لها : « لا تخافى على فان عمر الشقى ، باق أى طويل ، ولمن غيرى يكون وجع القلب ؟ كلا : لا تخافى ، وإنى لفى أمان من الموت ما بقيت لى ، فاذا ذهبت أنت بعد عمر طويل ، فان هناك الأولاد . . . ؛ كلا . لا خطر على من هذا الردى العادى ارامدلنيرى ، المتربص بسواء »

فتدعولى بطول العمر ، ولـكنها لا تزيت الأبواب ! وقد حاولت أن أنهض أنا عنها بهذا العبء ، فكادت تدق عنقى ، فكففت بعد ذلك ، ورضت نفسى على السكون إلى هذه الموسيقى

ومن طرائف هذه الخادمة العجوز أنها لا تكاد تسمع ، أو تبصر ، فهى لا تكاد تفهم . وأنا رجـل خفيض الصوت جداً ، وأحتاج أن أكلمها ـ فما من هذا مفر فى بعض الأحيان ـ فأنادى أحد الأبناء الأفاضل وأقول له — وأنا أعلم أن هـذا يسره — انقل عنى بصوت عال ، فيفعل ، ولـكن اللعين يصيح فى أذنى أنا ! ! ثم يقع على الأرض من الضحك

ويكون الولدان الصغيران فى المدرسة ، وتكون بى حاجة الى كلام الخادمة، فاذا أصنع ؟ لقد جربت عبث الصياح ، فأن أقول لها « هاتى قهوة » . فتغيب شيئاً ثم ترتد إلى ، وتدعونى أن « أتفضل » فأتعجب ، وأسأل نفسى : « ماذا يا ترى ؟ هل شرب القهوة يستدعى أن تجرنى هذه العجوز إلى غرفة أخرى ؟ » وأطيع ، وأخرج ، وأتبعها ، فاذا هى قد أعدت لى طشتاً وإبريقاً وسجادة للصلاة ! !

لهذا صرت إذا احتجت أن أطلب منها شيئاً ، أكتب لها رقعة بما أريد ، تذهب بها إلى البقال أو النجار ، أو الجيران ، ليشرحوها ويبينوا لها ما فيها ، وما أكثر ما يعابثها البقال ! !

ولا أستطيع أن أنهرها ، أو حتى أن أظهر لهـا الغضب أو الامتعاض ، أو الضجر ، فقد ربتنى صغيراً ، وليس هذا ذنبى ، ولـكنها تعدنى « ملـكا » لها ، وترى أن هذا يخولها حقوقاً على ، فالبيت كله بيت « ابنها » بما فيه ، ومن فيه ، ومن كان لا يعجبه هذا فلينفلق !

على أن مصيبة الأولاد أدهى ، تكون الساعة الخامسة صباحاً ، فأسمع نقراً على الباب ، فأفتح عينى وأقول « تفضل .. تفضلا ... تفضلوا ... أو تفضلن » فيدخل اللعين الصغير الذى نسميه « ميدو » — وهى عندنا صيغة التصغير لعبد الحميد — فيدور بيننا هذا الحوار

— بابا

— نعم ياسيدي

— صباح الخير أولا

— صباح الخير ياسيدى . خير إن شاء الله ؟

— الساعة كم الآن ؟

— الساعة ؟ أو ليس عند ماما ساعة ؟

— عندها ساعة . ولكنها قالت لى البارحة إنها خربت ووقفت

— هى قالت ذلك ؟ وحضرتك صدقتها ؟

— وهل ماما تـكذب ؟

— أعوذ بالله ! ! مستحيل يا سـيدى . وهل يكذب إلا الكذاب ؟

وأخبره أن الساعة الخامسة فيقول

— أنا ذاهب إلى المدرسة

فأصيح ، وأستوى قاعداً ، « أى مدرسة يا أخى ؟ وهل صارت المدارس فى عهد هيكل باشا تفتح قبل الفجر ؟ أما إن هذه لبلية ! رح يا أخى ، رح نم ! »

فيقول « بس اسمع يا بابا »

فأقول وأنا أعيد رأسي إلى المخدة « سامع . تفضل »

— بقى الافندى قال لنا « يجب أن نكون موجودين فى منتصف الساعة الثامنة، وأن من يتأخر عن هذا الموعد لا يشترك فى الرحلة »

فأشتهى أن أقول فى هذا « الافندى » أشياء كثيرة . وأقولها فعلا ، ولكن فى سرى ؟ كما كانت تفعل حماتى . أى نعم حماتى ، فقد كانت فى هذا قدوة ، ومثلا يحتذى . وكانت إذا سخطت على إنسان ، توسعه ذماً ، وسباً ، ولعناً ، فى سرها ! وكانت تجد فى هذا شفاء لغليلها ، فتبتسم ، وتتنهد ، وتضع يدها على قلبها وتقول « أيوه كده ! الحمد لله ! كنت سأطق »

وأقول للغلام « ولكن أين نحن من هذا الموعد ؟ اذهب ، ونم »

فيقول : « لا يا بابا ، لئلا أتأخر ! »

فأقول: « يا أخى ، وما ذنبي أنا إذا تأخرت حضرتك »

فيقول : « إنما أردت أن أسألك هل أصوم ؟ لأنى أكلت فى السحور مع ماما »

فأهز رأسي ، وقد فهمت ، ذلك أن ماما لا بد أن تكون هى التى أوعزت إليه أن يبكر فيسألني هل يصوم أو لا يصوم وأقول له:

« إنك صغير ، جداً ، والصيام غير مفروض عليك ، ثم إنك ذاهب لتلعب ، وتنط ، فستجوع بسرعة ، فيجب أن تأخذ معك طعاماً وإلا مت من الجوع »

فيسألني « وماذا آخذ معي ؟ إنهم لم يُعدوا لى شيئا »

فأغتنم هذه الفرصة ، وأقول له « يا عبيط ! كيف تقول إنهم لم يعدوا لك شيئاً ؟ أو تتهم ماما بمثل هذا الاهمال ؟ »

فيسألني « هل تعنى ... ؟ »

فأقاطعه وأقول بصوت كالهمس « اسمع ، لقد هيأت لك ماما كل شئ ، ولكنها لم تخبرك حتى لا تخرج قبل الأوان ، ثم لتفاجئك فتسرك ... ماما لطيفة ، أليست كذلك ؟ (فيهز رأسه موافقا) ولكني صرت أخشى الآن أن تتأخر ، وقد قال لك الأفندى إن من يتأخر لا يشترك فى الرحلة ، فاذهب إلى ماما ، وأيقظها بلطف ، وصبحها بخير ، وارج منها أن تعطيك ماهيأت لك ... وستنفى لك أنها صنعت شيئاً ، لأنها تعتقد أنك بكرت جدا ، وساعتها كما تعلم واقفة ، فأفهمها أن الوقت قد أزف ، وخذ ما تعطيك ... والآن اذهب ، ومع السلامة ، وإن شاء الله نراك ونراها بخير »

فيذهب مسرورا ، فأنهض خفيفا ، وأمشي إلى الباب على أطراف أصابعى ، وأوصده بالمفتاح ، لأنى أعرف ما يحل بى إذا تركته مفتوحا !!

والمثل يقول « جن الذى نجا من الموت ! » فلا تمضى دقائق حتى أشفق أن يتهشم الباب ، ويتحطم رأسي ، فلا يسعنى إلا أن أفتحه ، فتدخل ماما ، كالأعصار وتصيح بى :

« ما هذا الذى صنعت ؟ تغرى الولد بى ، فيوقظنى فى هذه الساعة وأنا صائمة !! »

فأقول : « ساعتك واقفة ؟ أليست كذلك ؟ »

فتقول ، وهي تغالب الضحك « يعنى إيه ؟ »

فأقول، وأنا أعود إلى السرير « يعنى دقة بدقة، والبادي أظلم ! »

فتقول : « راجع إلى السرير ؟ تقلقنا وتنام ! شئ جميل ! »

فأقول: « من الذى أقلق صاحبه ؟ »

فتقول: « إنك أنت سبب القلق والمتاعب كلها فى هذا البيت »

فأقول : « غفر الله لك يا امرأة ! اذهبي وتوبى إلى الله واستغفري لذنبك عسى أن يرحمك »

فلا يجدى هذا النصح ، وينتهى الأمر بأن أجمع المخدات المبعثرة فى الغرفة ، وأعيدها إلى حيث كانت ، وأنا أنهج من التعب ، وأتمثل بقول الشاعر :

« ومن ظن أن سيلاقي الحروب ... وأن لن يصاب، فقد ظن عجزا »

وهكذا ، وهكذا ، إلى آخره ، إن كان له آخر . فالحق أن أجرى عظيم فى رمضان !

ابرهيم عبد القادر المازنى

مصر وعلاقتها بالخلافة

للدكتور حسن ابراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب

من ولاة العصر العباسي الذين عرفوا بالخير والعدل واكتساب محبة الأهلين موسى بن عيسى (١) الذي ولى مصر ثلاث مرات. فقد اشتهر بالعدل في البلاد وتحبب إلى النصارى فأذن لهم ببناء الكنائس التي هدمها سلفه على بن سليمان وقد أشار عليه بذلك قاضياه الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة، بحجة أن إرجاع الكنائس المستحدثة في الاسلام من مستلزمات عمارة البلاد. ومما يدل على عناية هذا الوالي بالعمارة ما كان من زيادته في جامع عمرو(٢).

وكان عنبسة بن إسحاق (٢٣٨ – ٢٤٢ هـ) آخر من ولى مصر من العرب. وكان من أحسن الولاة الذين ولوها في هذا العصر، مما حدا بالمؤرخين إلى القول بأنه أظهر من العدل مالم يسمع بمثله في زمانه. وقد بلغ من تورعه وبغضه للمظاهر أنه كان يروح من دار الامارة إلى مسجد العسكر ماشياً. وكان آخر من أموا الناس في السجد. وقد بنى المصلى الجديد سنة ٢٤٠هـ إذ رأى أن المصلى القديم ضاق بالمصلين. وكذلك حصن دمياط وتنيس بعد أن أغار عليها الروم سنة ٢٣٨هـ فبقيت دمياط في يد المسلمين إلى أن استولى عليها الصليبيون سنة ٦١٦هـ(٣)

على أن عدل عنبسة وورعه لم يكسباه حب الناس جميعا، فقد كان مكروها من البعض لاعتقاده بمذهب الخوارج مما دفع بالفضل ابن يحيى إلى أن ينحى فيه باللائمة على الخليفة لتوليته إياه مصر. وما قاله أيضا من شعر يتهم فيه هـذا الوالي بالتراخي عن طرد الروم من هذه البلاد وقت استيلائهم على دمياط وتنيس كما تقدم

مَن فتى يبلغ الامام كتاباً عربيا ويقتضيه الجوابا
بئس والله ما صنعت إلينا حين وليتنا أميرا مصابا
خارجيا يدين بالسيف فينا ويرى قتلنا جميعا صوابا
م يمشي إلى الصلاة نهارا وينادي السحور، ضل وخابا

ومن هنا نتبين كيف كان اعتقاد عنبسة بمذهب الخوارج — إن صح أنه كان يعتقد به — سبباً في الحط من شأنه وإظهار ما أتاه في حكمه من عدل وما أظهره من ورع، بمظهر العسف والظلم حتى أدى ذلك بالفضل إلى اتهام هذا الوالي بالقعود عن نصرة المسلمين حين أغار الروم على مصر، فقال الفضل للخليفة المتوكل:

أترضى بأن يعطى حريمك عنوة وأن يستباح المسلمون ويحربوا
حمار أتى تينيس والروم وثب بتينيس رأى العين منه وأقرب
مقيمون بالأشتوم يبغون مثلما أصابوه من دمياط والحرب ترتب
فما رام من دمياط شبرا ولادرى من العجز ما يأتى وما يتجنب
فلا تنسنا إنا بدار مضيعة بمصر وإن الدين قد كاد يذهب(٢)

لم يل مصر بعد عنبسة وال من العرب كما تقدم، فقد وليها بعده يزيد بن عبدالله (٢٤٤ – ٢٥٣ هـ) من موالي المنتصر العباسي وكان كغيره من الأتراك من السنيين الغلاة. وكان شديداً صارماً وأتى في عهده بكثير من الاصلاح وقضى على كثير من معايب المجتمع، فمنع النداء على الجنائز وضرب من نادى عليها، وعطل الرهبان وتتبع العلويين فلحقتهم منه شدائد وأهوال

وورد إليـه كتاب الخليفة المستعين بالاستسقاء لقحط كان في العراق، فاستسقى الناس في يوم واحد. وفي عهده خرج بالاسكندرية رجل يقال له جابر بن الوليد واجتمع إليه خلق كثير من العرب والقبط والنوبيين فاستولى على الكريون وسنهور وسخا وسمنود، فأنفذ الخليفة مزاحم بن خاقان مدداً لواليه على مصر. وظلت ثورة جابر ابن الوليد على حالها طوال عهد يزيد بن عبد الله الذي صرف في ربيع الأول سنة ٢٥٣ هـ وولى بعده مزاحم بن خاقان فواقع جابر بن الوليد في أرض الجيزة والفيوم حيث أسر في جنبويه من كورة البدقون (المكتبة الجغرافية

(١) ابن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.
(٢) الكندي ص ١٣٢ و ١٣٤ و ١٣٧
(٣) الكندي ص ٢٠١ و ابن دقاق ج ٥ ص ٨١

(١) الكندي ص ٢٠١ ابن دقاق ج ٥ ص٥٣ المقريزي خطط ج ١ ص ٢١٤، ٣١٢
(٢) الكندي ص٢٠١، والبيت الرابع من المقريزي خطط ج١ ص٣١٤

مائة صورة من الحياة

للأستاذ علي الطنطاوي

١٣ – دكتور !

سألني اليوم صديق لي من المدرسين :

— ألا تعرف قصة المسيو تريس ؟ إنها إحدى العجائب !

قلت : لا والله ، فأي شيء هذا المسيو تريس ؟ وما هي قصته ؟

قال : رجل فرنسي تخرج في إحدى دور المعلمين الأولية ، ولكن الأبواب سدت عليه في بلده ، وضاقت به الحيل ، فلم ينل وظيفة ، ولا استطاع أن يحصل شهادة ثانوية (بكالورية) ، فشد رحاله إلى الشام ، فكان فيها معلماً ...

قلت : ليس في هذا عجيب ، بل العجيب أن يكون غير هذا !

قال : لم أبلغ بك مستقر العجب بعد ... لقد درس هذا الرجل سنين ، ثم خطر له يوماً خاطر ، فقال لي :

— لقد سمعت أن المسلمين يحجون ...

قلت له : نعم

قال : أفلا تخبرني عن حجهم ، كيف يكون ، وما هي صفاته ، وكيف تكون الرحلة إليه ، وما هو خبر المحمل الذي كان يذهب به كل عام ؟

في أسئلة أخرى هذا سبيلها قال صديقي فقلت له : إني لا أعرف إلا طرفاً من هذا ولكني آخذك إذا شئت إلى من يرشدك إليه . وأخذته إلى رجل كان جمالا يرافق الحج . فأنبأه بما يريد ، فلما كان بعد أيام جاءني المسيو تريس ، وقد كتب ذلك في كراسة عرضها علي لأنظر فيها . فنظرت فاذا هي أعجوبة الدهر التي يعجز عن مثلها صاحبنا أبو العبر[1] حين كان يقف على الجسر في بغداد فيكتب كل مايسمع ، فاذا ملأ الصحيفة قدها قداً تخالف بين أجزائها ، ثم قرأ ما يجيء فيها ، فيجيء بكلام ليس في الدنيا أحمق منه ... وإذا هي كراسة مضحكة عجيبة يعد صوابها ولا يحصى خطؤها ، على أنها في زعم صاحبها دراسة للحج عند المسلمين ، سمّى فيها الجمل الذي يحمل (المحمل) باب السلام ، وسمّى إمام الحرم المكي (أمين الصرّة) وجعل تبوك على أبواب مكة ... ومثل هذا الهذيان ...

قال صديقي : فرددتها إليه رداً جميلا ، وتخلصت منها وعاد الرجل إلى بلده ، ومرت شهور طويلة ، وإذا أنا بالبريد يحمل إليّ الرسالة مطبوعة ، مكتوباً عليها :

الأطروحة التي نال بها مؤلفها شهادة الدكتوراه من جامعة باريس !!

علي الطنطاوي

(١) هو أبو العباس بن محمد بن أحمد وينتهي نسبه بعلي بن عبد الله ابن العباس — تحامق لما رأى الحماقة أجدى عليه وجعل كنيته أبا العبر وجعل يزيد فيها كل سنة حرفا حتى مات وهي (أبو العبر طرد طيل طليري بك بك بك !)

ج ٦ ص ٢٨٢ ، ٨٣ — المقريزي خطط ١ ص ٧٣) وبعث به إلى العراق في رجب ٢٥٤ هـ[1]

هذا وكان عامل مزاحم بن خاقان على الشرطة أزجور التركي فقد منع النساء من دخول الحمامات ومن زيارة المقابر وسجن النوائح ومنع من الجهر بالبسملة وأمر بتمام الصفوف عند الصلاة وعهد إلى رجل من العجم فكان يستعمل السوط في تنفيذ هذا الأمر . ومنع من استعمال المساند والحصر للجلوس في المسجد ومن التثويب ومن أن يؤذن المؤذن يوم الجمعة في مؤخر المسجد . ثم صرف أزجور عن الشرطة في ذي القعدة سنة ٢٥٣ هـ وولي مصر أحمد بن مزاحم باستخلاف أبيه له فجعل أزجور على الشرطة ثانية ثم وليها أحمد إلى أن مات (١ من ربيع الآخر سنة ٢٥٤ هـ) فولي مصر أزجور وظل على ولايتها إلى رمضان من هذه السنة فوليها بعده أحمد بن طولون

حسن ابراهيم حسن

(١) الكندي ص ٢٠٢ — ٢١٠

الحقائق العليا فى الحياة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الإيمان . الحق . الجمال . الخير . القوة . الحب

« ألفاظ إذا نطقت بها تتحرك لها فى نفسى دنيا كاملة ! »

تلك أعمدة الكون الخفية ، تسكن قممها عقول المتأملين ، وتسجد على أقدامها قلوبهم . قد أسبغ خالق الكون وواهب الحياة على العقول والأرواح ظلالاً من تكريمه واحترامه حين أوجد لها هذه الحقائق ، وأوحى لها أن تتعرف إليها كما أوحى إلى الأجساد أن تتعرف إلى التراب والماء والغذاء والهواء ...

وليت شعرى ! هل تسعفنى خواطرى الدائمة الدوران حول هذه الحقائق فتحضرنى جميعها وأنا أكتب عنها ؟

إنى أبدأ الكتابة الآن وليس فى نفسى إلا صور مبهمة منها . أما تركيز أفكارها وتجميعها وتجنيدها وعرضها ، فأمر أسأل « الحق الأول الأكبر ! » أن يتولى هو بفنه الخالق « إخراجه » من قلمى العاجز كما يخرج النخلة السحوق من النواة الضئيلة !

***

وإن تعجبوا فعجب لجاد الأقلام وطين الألسنة حين يتولاهما الجشع فيحاولان أن يمسكا السيالات التى لا تمسك !

وليت شعرى ! متى يأتى الانسان الذى يستطيع أن يقول كل ما فى رأسه بألفاظ ترضيه وتترجم عن التيارات العميقة المتلاطمة فى قرار قلبه ؟

إنه لا شك الانسان الأخير الذى يختتم به وجود الانسانية هنا على الأرض ... ولعلها ما تلاحقت أنسالها فى الأرض إلا لتقول « الأسماء كلها » التى علمها الخالق أباها آدم ...

فالانسان الأخير هو آدم ثان جاء ليختم الدورة التى بدأها آدم الأول ... هو الانسان الذى صبت فيه كل جداول البيان وسكنت فيه كل أطياف المعانى ، فوعى كل كلمة نفسية ولفظية اختلج بها قلب أو فكر أو لسان ...

هو الانسان الذى يأتى بعد أن لم يبق شىء فى عالم الآفاق وعالم الأنفس إلا وجد له لفظاً إنسانياً يصوره ويحدده ...

هو ابن الانسانية الواحدة الهائلة التى تنقلت فى الدهور والأحقاب فوقع عليها كل الضوء وكل الظلام ! !

١ — الإيمان :

أنا الآن فى « الرستمية (١) » على أديم الأرض مباشرة ، وتحت السماء مباشرة ... حافى القدمين مجرودهما ، جاث على الركبتين معقورهما ، شاخص العينين محرورهما ، مرهف السمعين مشدودهما ، صامت الشفتين معقودهما ... فى الظلام الصارم ! والريح تصفر فى كل ما يحيط بى من مبان ومنافذ وأشجار ... وبنات آوى تعوى وتعترك على قرب منى ... وكلاب الرستمية وكلاب تلك القرية الماثلة على رأس تعريجة من تعاريج نهر « ديالى » تتبادلان نباحاً دائماً متشابهاً هو عندى نغم يهيىء فى نفسى جواً معنوياً لليالى القرى والخيام . . والنوم ذائع السلطان منشور الأعلام على مبانى « دار المعلمين الريفية » ، وعلى أجساد ساكنيها من الطلاب والمعلمين . . وكل ما فى جسمى ونفسى يقظ : كل خلية وكل شعرة ، وكل قوى جاذبة أو دافعة ، وكل خاطرة جديدة عابرة أو مخزونة غابرة ، مستجمع أرواح آبائى وأرواح أنسالى . . فى خيالى ، وجميع حياتى الذاهبة فى الأزل والآتية فى الأبد !

أنا فى ساعة خبال أو عقل ، وفى جد أو مجانة ؟ لا أدرى . لا أدرى إلا أن الرحى الدموية الحمراء التى فى صدرى تدور دوراناً لا عهد لى به من قبل ...

أنا أيتها الأكوان الناطقة والصامتة الموغلة فى الصمت ، أحاول أن أتكلم عنك بين يدى أبى وأبيك ! بالكلمة التى أعيانى النطق بها كما أعيا كل كائن يحسها حقيقة شائعة فى نفسه ولكن لا يستطيع البيان ...

أدير فكرى وكل حواسى فى الدنيا لأجد ابتداء القول ، فلا أظفر إلا بالاستغلاق ؛ وإن كنت أظفر بامتلاء أوعية أخرى لا سلطان للبيان على نقل ما فيها ..

(١) ضاحية فيحاء من ضواحى بغداد

كل فراغ حياتى مملوء بخواطر مستبدة بى ، ألاقى بها الحركة والركود ، والنور والظلمة ، والبحر والصحراء ، والنملة والجمل ، والعلم والجهل ، والسلامة والسقم ، وكل شيء ، وكل شيء ، وكل شيء ...

فاعذرونى أيها الفارغون !

واطلبوا التوفيق لقلمى المسكين الذى يتصدى للنار ليكتب فيها عنها ...

ويتصدى للريح العصوف ليحملها قبل أن تحمله وتذروه مع الهشيم ...

***

الايمان ؟!

يالله من ابتذال الألفاظ الكريمة ونزولها من لمات الفكر العالى وسبحات الروح، إلى رؤوس الأغبياء والجامدين والمحدودين!

ويالله من جناية التجسيم والتشبيه على المعانى التى حياتها فى أن تكون مطلقة متفردة منساحة فى محيطات ربها انسياح الكهرباء والجاذبية والاشعاع !

ويالله لغذاء الملائكة إذا ولغت فيه الكلاب والخنازير والقردة !

وأواه من الذين ينظرون إلى الألفاظ الحية نظرهم إلى الحجارة والصخور !

أخذوا هذه الكلمة التى لا يمكن أن يكون قد نطق بها ناطقها الأول إلا بوحى ، وصاروا يلوكونها كما يلوك الملقنون بعض الألفاظ يلقونها على أجساد الموتى ...

أخذوها من معادنها ومناجمها العميقة فى قلوب الأنبياء وخواطر الأصفياء وألقوها فى أفواه التماسيح والقردة ، فصارت تمض وتقهقه بها ممسوخة فى غير موضعها ، كموسيقى الجنازات .

أخذوها كما يأخذون الوردة المنضورة المطورة من غصنها ، فلا يزالون يبتذلون شذاها على أنوفهم المزكومة ، وحريرها بين أصابعهم القاسية ، حتى يمزقوها فلا يبقى منها فى أيديهم غير جثة مسحوقة يلقونها فى التراب ...

أخذوها من نصابها فى قلوب الأنبياء وخواطر الأصفياء . ووضعوها على قلوبهم الضيقة كما توضع الشموع على القبور ...

صيروها ملكا لكل بليد أبله ، تموت وتنطفىء على شفتيه الكلمات المنيرة كما تموت العروس فى جلوتها ..

ثم وضعوها فى قواميسهم وكتبهم بجانب هذه الجمادات والجيف : تراب . رصاص . ذهب . حديد . معدة .. !

فياموحى المعانى ! حررنى من ألفاظهم الميتة الجامدة التافهة، واحلل عقدة من لسانى حتى أبين معناك فى قلبى . وما أهول معناك فيه !

الطبيعة كلها أوتار مرنة، وكلمات مبينة ، وأصابع مشيرة ، يسمعها ويقرؤها ويراها ذلك الراهب الذى سجنته بين ضلوعى !

وأناملى الآن تحاول أن تشير إليك بالقلم والمداد فى رموز أغنى بها وأبكى !

ليس الكلام هنا شيئا يذكر بجانب الفكر ، وليس الفكر شيئا يذكر بجانب الوجدان ...

ولكى أكتب عن معناك كتابة عارف ... لا بد لى من من جسد آدم الذى لامسته يدك ، وعمر نوح الذى طال فيه سرك ، وعقل ابراهيم الذى سعى أمامه نورك ، وأذن موسى التى رن فيها صوتك ، وإنشاد داود الذى ترقرق فيه نغمك ، ويد عيسى التى كان معها إذنك ، وكمال محمد الذى انطلقت منه إلى الانسانية كلمتك الخاتمة ...

أجل ! لا بد لهذا أن أغتسل بالبحر كله، وأتوضأ بالشعاع كله، وأتوج بالشمس والقمر والنجوم .. ثم أندمج فى كل شيء لأتسمع إلى الهمسات والأحاديث الدائمة بين العوالم والأكوان عن الظاهر الباطن ، والأول الآخر ... المتكبر ! الذى أذابها وأفناها انتظار لمحة لوجهه ذى الجلال !

ولكن يا طين آدم ! مالك ولهذا العلو الشاهق ؟

يا خنفساء الغبراء ! لا تحلقى بجو النسور . . .

يا جُعَل ! إن شذا الورد يخنقك . . . فلا تطلب سكنى الرياض . . .

كيف يقوى على سنا الرب قلب	ليس يقوى على سنا المربوب !
والكمالات لا تناهى لدى الله	فلا بد من بقاء الغيوب

أجل يا « باكثير » !

ولكن الذى يتصدى لكبرياء الآلهية ، إنما يحاول أن يبلغ أقصى حدوده وأدنى حدودها ليعود فيقول كلمة تريح ذلك الراهب السجين ، وتكون مشاركة منه فى عزف اللحن الدائم

مع أوتار الطبيعة ، وفى تسجيل الكلمات البينة مع أقلام الطبيعة ... حتى يرى بعد ذلك كله هذه طائرة بجوها الموسيقى ، تخفق بجناحيها فى رئات الناس ، وترقص فى ضياء عيونهم ، وتأكل من حبات قلوبهم ، وتغرد فى منطقة الصمت من أفئدتهم !

***

قد لا يدرك الإيمان على حقيقته إلا المؤمن الأخرس الأصم . . . الذى لم يقل ولم يسمع إلا الكلمات النفسية التى لا تصب بقوالب من الألفاظ الضيقة التى قد تكون منحرفة الوضع أو مبهمة الدلالة أو ناقصة الموسيقى . ولكل معنى فى النفس جو موسيقى يجب أن يصحبه فى اللفظ

وإنى أرثى للذين لم يعرفوا الآلهية إلا من ألفاظ الكتب ! ولأن الناس صاروا يأخذون عقيدتهم فى الآلهية من الكتب ومن الأفواه ، اختلفوا وتفرقوا وتباينت الصور التى فى رؤوسهم منها . ولو أنهم أخذوها مباشرة من الطبيعة الواضحة الواحدة ، التى ليس فى كلماتها انحراف فى الوضع، ولا إبهام فى الدلالة ، ولا نقص فى الموسيقى . . . لاتفقوا وتلاقوا على فهم المعنى الواحد الذى يملؤها ، كما كانوا أول زمانهم قبل تشعب الكلام بهم ووجود ميراث من الكلمات المغلوطة التى تمحو طابع الفطرة البسيطة التى لا تعرف الرموز ولا تستغنى بها عن النماذج الواضحة التى تملأ الطبيعة

ويا لله من جناية الناس على وسائل إنقاذهم ورفعهم من حضيضهم !

إن الملهمين والعلماء يفتحون لهم أبواب أقفاصهم وسجونهم حتى ينطلقوا ويفروا منها إلى الطبيعة . ومن الطبيعة تنفذ عقولهم إلى خالقها وصاحب المشيئة الغالبة عليها . ولكن الأغبياء والمحدودين من الدعاة يعودون بهم ثانياً إلى الأقفاص والسجون ويسدون أبوابها بالأوثان والأنصاب والصور والرموز ، ويلهونهم بالخرافات

وعندئذ تموت وتنطمس الكلمات الحية المنيرة ، فينطقون بها ويخيل إلى رائيهم من ذوى البصائر أنهم يلفظون حجارة أو جثثاً ميتة للمعانى الكريمة . . .

وإذا انقلب الوضع فصار الراعى يهتدى بالقطيع ، فهنالك ضياع الجميع . . .

***

وهنا أسأل :

لماذا لا تخدمون الإيمان أيها الكتاب الموهوبون فتخدموا بذلك أقلامكم وتخدموا الحياة والفن ؟

لماذا تلسعكم النار وتتحول أقلامكم إلى عقارب تلفونها بسرعة من أيديكم إذا ما سجل أحدكم كلمة مؤمنة ؟

أنا أعرف السبب . أعرفه وأعزو إليه كل هذا الضعف : هو أنكم تأنفون من أحاديث العوام والعجائز والفقراء الذين جعلوا الإيمان غذاءهم وعزاءهم لأنهم فقدوا كل شيء سواه . فهم يهترون به ويتزيدون فيه بأحلام المحرومين . فمن هنا تراكمت فى نفوسكم « عقد نفسية » خفية فى العقل الباطن تعقل أقلامكم عن الخوض فى المعانى العامية . . .

ولكنى أعيذ فطنتكم أن تجعلوا يد البستاني مرآة للبستان . . .

وإنكم إذ تتحاشون الحديث فى الإيمان لمحرومون من منابع الالهام الدائم ، وحياة اللذة بالشعر ، وحياة اللذة بالعلم ، وحياة اللذة بالقوة ، وحياة اللذة بالمجد الشخصى ، واحترامكم لأنفسكم !

أتدرون أنكم لا تسبحون إلا فى الضحضاح من المعانى المكشوفة الدائرة حول الظاهر من الحياة الدنيا، وأنكم تدورون فى هذا الضحضاح دوراناً مضحكا » ؟

أتدرون أنكم بإهمالكم رصد الأفق الذى تلتقى فيه كل الحقائق والجمالات والكمالات والرائعات من عالم الخفاء وعالم الظهور ، قد ضيعتم أعلى نغم وعطلتم شعركم من أعذبه ؟

هبوا أنكم لم ترضوا بحديث بعض المأثورات من كتب الدين عن الالهية، فلماذا لا تحدثون أنتم الانسانية بحديثكم الشخصى عنها وهى تملأ كل نفس عالمة أو شاعرة ؟

وهبوا أن بعض الأنجاس ولغوا فى هذا النبع ، فهل معنى ذلك أنه تنجس عند الذين يعرفون من أين ينبع وإلى أين ينتهى ؟

كلا ! لن تذهب مسؤولية ذوى الطباع الرحبة فى التكلم للحق إذا تكلم فيه الجامدون أو الدجالون ، بل إن مسئوليتهم تبدأ من هنا . . .

وإن الذى يخرج من الدنيا كاتبا أو شاعرا أو فنانا أو عالما أو متأملا، ثم لا يترك فى ميراثه حديثا عن « ملتقى الأكوان ! » لاريب أن يحكم عليه الحق بأنه أعمى، لأنه مر على حجرات جدرانها كلها مرايا فلم يرها ولم يحدثنا عنها . . .

« بغداد — دار المعلمين الريفية » عبد المنعم خلاف

مقالات في كلمات

للأستاذ محمود غنيم

العدل المطلق

أسرفت القوانين على اختلاف أنواعها فى توخى العدالة ، ولكن يظهر أن تحقيقها لا يزال يقتضى الانسانية انتظار زمن طويل ، إن لم نقل : إن ذلك مستحيل

أرأيت ذلك الذى يطيح القصاص برأسه جزاء إثم اقترفه ؟ لقد حكم القضاء بإدانته مرتاح الضمير ، معتقداً أنه أقر الحق فى نصابه ، وقابلت أنت الحكم بالهتاف للعدالة ، ونسيت أن لهذا الحكم العادل ناحية فيها ظلم صارخ . ما ذنب أطفال هذا المجرم الذين أسقطهم القضاء من حسابه ، فحرمهم كاسبهم ، ورماهم باليتم من غير إثم اقترفوه ؟ أغلب الظن أن القصاص العادل مهد لهؤلاء الأطفال البرآء سبيل الاجرام ، فكأنه استأصل شراً وأنبت شروراً ، وأراح الانسانية من وجه ثم أتعبها من وجوه

ما ذنب المرأة يلقى زوجها فى أعماق السجون باسم القانون ، فتتضور تلك الحرة جوعاً ، أو تأكل بثدييها ؟ وقد تكون حياتها — وهى البريئة الطليقة — أشأم من حياة زوجها — وهو المذنب السجين — ؟

وكم تكون دهشتى كلما تذكرت حكم الفقهاء فى طلاق السكران المتعدى ! إنهم يوقعون طلاقه تغليظاً عليه ، كأن مسألة الطلاق لا تعنى إلا إياه ، وليس الرجل فيها إلا طرفاً من طرفين ، بل من عدة أطراف ، إذا لم نسقط من حسابنا شريكته فى الحياة وأطفاله الصغار . ألسنا بذلك نكون قد قضينا على زوجة ، وشردنا بنين ، لأننا أردنا أن نلقى على رجل سكران درساً أشك كل الشك فى قسوته ؟ أجل ، فمن الجلى أن الرجل هنا يرتكب أخف الضررين ، ففى استطاعته أن يتزوج لأن أمر زواجه موكول إليه ، أما الزوجة المنكودة — التى لم تعاقر الكأس ولم تنش الحان — فعليها أن تنتظر ثم تنتظر ، لأن أمر زواجها ليس إليها

كنا يهتف للمساواة ويعتبرها ضرباً من ضروب الانصاف ، ولكنى ألاحظ أن ذنباً واحداً قد يقترفه اثنان ، معيشة أحدهما فى السجن لا تختلف عنها كثيراً فى منزله ، بينما يؤثر ثانيهما الانتحار على أن يقضى فى السجن سحابة نهار . فهل تعتبر توحيد الحكم عليهما من العدل فى شىء ؟ ثم ماذا تقول إذا كان أحدهما متعطلا لا كسب له ، وكان للثانى عمل يدر عليه الربح الوفير ؟ لا شك أننا فى هذه الحالة نكون قد حكمنا على الثانى بغرامة فادحة ، لم يصب الأول منها قليل ولا كثير

ولقد يتخاصم المتخاصمان أحدهما فى سعة من الرزق يستطيع أن يستعين بجيش من مهرة المحامين ، بينما ثانيهما مقل لا يستجيب له إلا من يقنع بالأجر الطفيف ، وهكذا يسوى القانون بينهما فى كل شىء ، ويغفل هذه الناحية الحساسة ، ذات الأثر البالغ فى تكييف الحكم ، وتكون النتيجة أن ينتصر باطل الأول على حق الثانى باسم العدل والقانون

وبعد فلست أجهل أن القوانين لا تنظر إلى الأفراد بمقدار ما تنظر إلى المجموع ، وأنها كثيراً ما تضحى بمصلحة الفرد فى سبيل الصالح العام ، ولكننى أبحث عن العدل المطلق ، العدل الذى لا يشحذ مديته على كبش من كباش الفداء

اللذة السلبية

عرفت بالتجربة أن من أطيب الأوقات التى تمر بالانسان تلك الأوقات التى ينسى فيها نفسه بسفر طويل وإن كان لغير غرض ، أو بإمعان فى تفكير وإن لم يكن من ورائه طائل ، أو بانهماك فى « لعبة » وإن كانت غير ذات جدوى . وجلى أن الانسان لا يفيد من ذلك فائدة يستطيع أن يرجع إليها ما يشعر به من لذة ، فهل مصدر تلك اللذة هو مجرد نسيان الانسان نفسه حيناً من الدهر ؟ إن صح ذلك فأحر بنا أن نطلق على هذه اللذة اسم « اللذة السلبية »

أغلب الظن أن ذلك صحيح ، وعليه يكون مجرد الشعور بالحياة عبئاً على الأحياء ، ويكون الاحتيال على التخلص منه بين فينة وأخرى داعية سرور وارتياح . ومما يدعم هذه النظرية

تلك اللذة التى يشعر بها المخمور، وماذا يفيد المخمور من جرعات الراح التى يتجرعها بين تغضن الأسرّة وتقطيب الوجه، إلا فترات غيبوبة ينسى فيها نفسه، ويعدم شعوره، ويفارق حيويته إلى حين؛ حتى إذا ذهبت نشوته، وتسرب إليه شعوره، ودع نعيمه، وعاد إلى دنيا الهموم؟

إذا وافقتنى على ذلك استطعنا أن نحل ذلك اللغز الذى حير الأفهام من قديم الزمان، وهو «متى يستشعر النائم لذة النوم» إن قلت: قبله، قلنا: لا يستشعر الانسان لذة شئ قبل مباشرته، وإن قلت: أثناءه، قلنا: لاشعور للنائم. وإن قلت: بعده، قلنا: ما شعور الانسان بلذة شئ فات؟ أقول: إذا وافقتنى على تلك النظرية استطعنا أن نعتبر لذة النائم من نوع اللذة السلبية، أعنى تلك اللحظات التى غرق فيها فى السبات، فغاب عن الوعى، واطرح أعباء الحياة، وتخلص من نير الشعور

ولعل من هذا كان حظ الانسان من الآلام النفسية يتناسب مع مبلغ حدة شعوره ودقة إحساسه طردا وعكسا، فان ذا الحس المرهف أشد حيوية من غيره. والمشاهد أن أشد الناس تمتعا بالحياة هم أقلهم حظا من التفكير والاحساس، لأنهم إلى الموت أقرب منهم إلى الحياة. ومن قديم قيل:

والعيش خـير فى ظلا ل النوك ممن عاش كدا

غير أننى أخشى إذا تمشيت مع هذه النظرية أن أنحدر إلى القول بأن الموت هو السعادة الأبدية

اللذة والألم

هل تحسب أن بائع العطور يستشعر ما تستشعر أنت لها من رائحة زكية؟ إن الانسان ليجلس فى بستان برهة من الزمان، فتصاب أعصاب حاسة شمه بالشلل، حتى مايفرق بين ورد وريحان، أو فل وياسمين

هذا مثل مادى يبين لنا تصريف اللذة والألم فى الحياة، فالمنظر الجميل إذا أدمنت التحديق فيه أصبح مألوفا عاديا لايحرك مشاعرك؛ والطعام الشهى إذا أكثرت تناوله فقد جاذبيته، بل قد يصل إلى درجة تعافه معها النفوس. ولقد يظفر الموظف بأجازة يوم فيشعر بغبطة لا حد لها، ثم يسامح بعد ذلك شهورا فتفقد المسامحة سحرها، بل إن الألم الذى يستثقل وطأته الانسان يتسمم به الجسم على مر الأيام، ويخف حمله بطول المران عليه

إذن لا بد من ألم الجوع والظمأ حتى يستشعر الانسان لذة الشبع والرى، ولابد من جحيم الفراق حتى يشعر بنعيم الوصال، ولا بد من حرارة العمل حتى يحس برد الراحة، بل لا بد من المرض حتى يدرك الانسان أنه صحيح معافى. بعد هذا نستطيع أن نقول بملء الفم: إن الألم شرط فى إحداث اللذة، وإن النعيم المحض لم يكتب لمخلوق فى هذه الحياة، وإنما تعنى به الكتب المقدسة البررة الصالحين في دار الخلود. ومن هنا التمس الناس السعادة من قديم الزمان فى كل مكان فأعياهم التماسها، لأنهم يبغونها صرفا غير مشوبة بشائبة، ولم يفطنوا إلى أن الألم شرط فى إحداثها، ومقوم من مقوماتها

اللذة والألم متكافئتان، حظ الناس منهما واحد، مهما تفاوتت أقدارهم فى الهيئة الاجتماعية، وتفاوت حظهم من الجاه والمال، غاية مافى الأمر أن لكل منهما صورا وأشكالا متباينة وإن كان الشعور به فى قرارة النفس واحدا

فعزاء للفقراء، وليعلموا أنهم هم وأرباب المال والجاه. على قدم المساواة

«كوم حماده» — محمود غنيم

التعليم والمتعطلون فى مصر
المدرسة وتكوين الاخلاق
للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

قيمة الأخلاق وتكوينها

كان خير ما وصف به النبى صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى « وإنك لعلى خلق عظيم » وقوله : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » وفى هذا الدليل القاطع والحجة القوية على ما للأخلاق الكريمة من أثر فى الحياة . والأخلاق الكريمة لا يحتاج إليها الانسان فى الزعامة أو القيادة أو الرياسة فقط، ولكنه يحتاج إليها فى جميع الأعمال والمهن والحرف على اختلاف أنواعها، لما يجرى فيها من معاملات بين الناس وأخذ ورد، ومد وجزر، تتطلب جميعها الحكمة وحسن التدبير والحسنى فى القول ، والصدق والأمانة فى العمل . ولا غرو فالأخلاق الكريمة عماد تكوين الأمم وأساس نهضتها ورقيها . وفى ذلك يقول المرحوم شوقى بك :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويقول المغفور له سعد زغلول باشا : « نحن لسنا محتاجين إلى كثير من العلم ، ولكننا محتاجون إلى كثير من الأخلاق الفاضلة »

والأخلاق كما تورث بذورها عن الآباء والأمهات تربى فى النشء. وأمتنها وأقواها ما نشأ عليه الطفل منذ نعومة أظفاره، وهى فوق ذلك تربى فى الشاب واليافع والكهل ، بل وفى الشيخ بالتعود والمرانة ورياضة النفس . وليس شىء أدل على ذلك من آيات التأديب المختلفة التى نزلت فى القرآن الكريم حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم . « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » فمن تلك الآيات الشريفة قوله تعالى : « يا أيها المدثر قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر » وقوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ألخ . وانظر إلى قوله تعالى تعليما وتأديباً للمؤمنين : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا » وإلى قوله « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولي بهما، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا »

كل تلك الآيات المحكمات وغيرها تدل دلالة واضحة على أن الآداب تكتسب بالتعليم والمرانة والتعويد . فاذا فاتت الطفل فرصة تأديبه وتعويده الأخلاق الكريمة فى منزله فيجب ألا تفوته تلك الفرصة فى مدرسته حتى يستقبل الحياة العملية مزوداً بالزاد المثمر المنتج وحتى لا تضيع عليه فرصة ذهبية هى أولى الفرص بالتأديب والتموين . وهى فوق ذلك أحسنها وأثمنها وأغلاها . ولقد أيد ذلك الرأى علماء التربية والباحثون فأقاموا الدليل تلو الدليل على أن الأخلاق تربى فى الانسان وتقوى فيه بالتعويد ورياضة النفس . وقديماً قالوا فى الحكم والأمثال « الحلم بالتحلم، والكرم بالتكرم»

فلم يبق إذن شك فى ذلك وليس فيه ما يدعو إلى البحث والتنقيب إنما الذى يدعو إلى البحث والتنقيب هو :

أولا — معرفة تلك الأخلاق الكريمة التى يجب أن يتصف بها الانسان فى حياته

ثانياً — طرق غرس تلك الأخلاق وتعهدها وما فعلت المدرسة المصرية فى هذا السبيل وما لم تفعل

ثالثاً — معرفة ما يتصف به شبابنا فى الوقت الحاضر من صفات لا تناسب نهضتنا ولا تتفق مع ماضينا وقوميتنا بما يقعد بهم عن الاقدام على الأعمال الحرة فيؤثر تأثيراً سيئاً فى حياتنا الاجتماعية والاقتصادية ويؤدى إلى عرقلة سير النهضة القومية .

وأخيراً بحث الطرق العملية المؤدية إلى استئصال ذلك

الأخلاق المطلوبة

مما لا شك فيه أن الأخلاق القويمة التى نصت عليها الشرائع السماوية كالصدق والأمانة والجد والاستقامة والصبر وفعل الخير وإحقاق الحق والعدل والمساواة فى حرية الرأى والشورى ... الخ هى الأسس التى يجب أن يبنى بها كل مصلح، والتى يجب أن يبثها فى ولده كل والد ، وفى تلاميذه كل مدرس . على أن هناك أموراً

خلقية أخرى قد تؤدى إليها المحافظة على الأمور السابقة وتعودها كما يلزمنا المجتمع الحاضر وأحوال المدنية الحاضرة وأساليب الحياة الحالية بالعمل على خلقها فى نفوس أبنائنا فرادى وجماعات حتى يتمكنوا من الخوض فى معترك الحياة والنهوض بهذه الأمة نهضة حقيقية فعالة ويرفعوا رأس بلادهم ويثبتوا أقدامها بين الأمم الراقية .

هناك تكوين الشخصية القوية، وهذا يستلزم تقوية إرادة الفرد بمختلف الوسائل وتنظيم حياته وتوجيه نشاطه ، وتوزيع العمل واللهو على أوقاته ، ويستلزم تعويد الفرد على أن يكون ذا رأى مستقل يدافع عنه فى صراحة وجرأة وقوة ، ويستلزم أن يكون الفرد ذا جاذبية خاصة أساسها حسن المعاشرة والمجاملة وعمل الخير مما يحبب فيه معاشريه ، ويجذب إليه كل من يحتك به ويعامله ، ويستلزم أن يتعود تحكيم عقله فى ميوله وأهوائه ، فكلما استطاع الانسان كبح جماح شهواته والتغلب على أهوائه وميوله ، ارتفع بنفسه فى عالم الفكر وسما بروحه سمواً يجعله قوى الشخصية مؤثراً فى غيره تأثير المغناطيس فى الحديد

وهناك غرس فكرة النظام واحترام القانون فى نفوس الناشئين منذ نعومة أظفارهم حتى يعتاد الفرد ذلك من صغره من غير أن يحتاج إلى رقيب يحاسبه ويتتبعه أو إلى دافع خارجى غير نفسانى يدفعه ، ويستلزم ذلك تربية الضمير وتقويته حتى يكون كل إنسان رقيباً على نفسه يحاسبها دائماً على كل صغيرة وكبيرة . حدثنى صديق اعتاد أن يسمر بعض الليالى عند أحد الوزراء السابقين الذين تلقوا علومهم العالية فى بلاد الانجليز : أن ذلك الوزير قص عليه قصة صغيرة وقعت له فى تلك البلاد فى أحد أيام الصيف ، وكان قد سافر إليها للنزهة والترويض . وتتلخص تلك القصة فى أن أحد أصدقائه الانجليز دعاه يوماً للصيد فخرج معه إلى مكان ناء بعيد عن أعين الناس ، ثم دعتهما ظروف الصيد إلى الافتراق فافترقا كل يطلب صيده ، فلما وجد المصرى نفسه وحيداً وقد هجمت عليه جموع من الطير التى يعلم أن القانون يحرم صيدها لم يتردد فى إعمال بندقيته وخرطوشه فيها حتى صاد منها كمية كبيرة معتقداً أنه فاز برزق عظيم وأنه سيسر صديقه به . ثم ما لبث أن التقى الصديقان ، فكانت دهشة الانجليزى عظيمة لما رآه يحمل الطير المحرم صيده ، وأخذ يلومه على ارتكابه مخالفة قانونية ، فأجابه السيد المصرى بأن الفرصة كانت سانحة لذلك وأنه لم يره أحد ، فما كان جواب صديقه إلا أن قال له : ولكنك يجب أن تكون أميناً على تنفيذ القانون فى كل مكان وزمان سواء أكنت وحيداً أو معك غيرك ، ثم أعطاه درساً عملياً فى احترام القانون ، فذهب به إلى أقرب مخفر للشرطة فسلم الطيور كلها هناك ودفع عنه فى الحال الغرامة التى يجب دفعها نظير ارتكاب تلك المخالفة

هذا درس عملى عظيم إذا توخت مثله المدرسة فى تربية أبنائها على احترام القانون والنظام العام أنتج أحسن الثمرات ، وجاد بأطيب الخيرات والبركات. ثم لماذا نذهب بعيداً وعندنا من أمثال ذلك فى صدر الاسلام الشىء الكثير ؛ فلقد خرج عمر ابن الخطاب ذات ليلة يتفقد أحوال رعيته ، فلما تعب اتكأ على جدار فى جوف الليل وإذا امرأة تقول لابنتها : يا بنتاه قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء . فقالت : يا أماه أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين ؟ فقد أمر مناديه فنادى لا يشاب اللبن بالماء . فقالت : قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء فانك بموضع لا يراه عمر ولا منادى عمر . فقالت الابنة : والله ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء . كل ذلك وعمر يسمع تلك المحاورة فقال لمولاه أسلم : « علم الباب واعرف الموضع » . ثم مضى ؛ فلما أصبح الصباح قال : « يا أسلم ، إمض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها ؟ وهل لهما من بعل ؟ » . فذهب ورجع فأخبر عمر ؛ فدعا ولده وقال : « هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه . ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد ؟ » . فقال له عاصم : « أنا يا أبتاه لا زوجة لى فزوجنى » . فزوجها من عاصم فولدت له بنتاً وولدت البنت عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وهو ذلك الخليفة الذى يضرب به المثل فى الورع والتقى والزهد وإحقاق الحق وإقامة العدل

عبد الحميد فهمى مطر

العقيـــدة الشعرية

للأستاذ أحمد خاكي

يفرّق النفسيون في العصر الحديث بين الايمان العلمي والايمان الشعري . أما الايمان العلمي فهو الذي يقوم على قواعد المنطق من فرض واستنباط واستقراء، ومن إثبات القضايا أو نفيها. إنه هو الايمان الذي يقوم على الواقع قبل كل شيء ، فهو يصدر عن الأشياء التي تقع في الحس ، وهو الايمان الذي قام على تثبيته أمثال بيكون ، وديكارت وهو الذي أقام العلم والفلسفة بما واتى حياتنا المـادية من تقدم . أما الايمان الشعري فيختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فهو يقوم على جملة من الآثار النفسية تثبت في نفس الفرد عن طريق العادة أو التخيل أو التصوّر ؛ فهو لا يرتكز على حقيقة محسوسة ملحوظة ، بل هو فيض خيالي مما تصوره الغريزة أو الرغبـة أو الفطرة . وهو بعد ذلك ضرب من اللعب إذا أحسن التعبير عنه كان فناً له خطره

الايمان العلمي هو الذي يدفعنا إلى درس النجوم وعلاقات بعضها ببعض ؛ ولـكن الايمان الشعري هو الذي يحبب إلينا النظر إلى تلك النجوم . الأول نتيجة لدراسة منطقية خارجة عن نفس الانسان ، أما الثاني فهو نتيجة لآثار العوامل الخارجية في نفس الانسان . الأول يمدنا بالقيم العلمية التي تـكاد تثبت في كل زمان ومكان ، والثاني بالقيم الأدبية أو الجمالية التي يختلف تقديرها باختلاف المقدّر والزمان والمـكان

ولقد ازدهرت نظرية اللاشعور أو العقل الباطن في هذا القرن حتى أظهرت لنا نوعاً من العقائد الأدبية يعتنقها الشعراء في قرارة أنفسهم دون أن يحسوا بوجودها . وأظهرت لنا كذلك أن الشاعر أو الأديب أو المتفنّن قد يكون صاحب عقيدتين في وقت معاً : أولاهما علمية تتصل بحقائق الحياة، والثانية شعرية تتصل بالخيال . وكان لهذه الفكرة خطر في النقد الحديث ، لأنها قلبت أوضاع النقد، وثارت بالتقدير العلمي القديم، ونبهت النقدة إلى أن يتدسسوا في أطواء الشاعر حتى يروا معانيه التي كتبها بوحي من عقله الباطن دون أن يكون عليها سلطان من عقله الواعي. وحسبنا من كل ذلك أن نثبت أن الأدب يقوم على هذه العقائد الشعرية، وأن أكمل الشعر هو الذي يصادف مثل هذه العقيـدة الشعرية عند سامعيه أو قارئيه

ويولد الايمان الشعري مع خيال الطفولة ، وهو كذلك يميز عقلية الهمج . ذلك بأنه يتصل بغرائز الفطرة الأولى : بالخوف والحب والعداوة والجنس . فاذا تقدمت البيئة الأدبية إلى مرتبة عليا من مراتب المدنية استغل المتفننون بذلك الايمان الشعري فتناولوه تمثيلا في النحت والتصوير والموسيقى والشعر وأطلق عليه الناس بعد ذلك اسم الفن . وهو لذلك يميز الانسان في أحط درجاته، ويميزه كذلك في عصور الفن الزاهرة. فالانسان الأول كان يقيم عفريتاً يعبده ليرضى خياله المفزوع ، والانسان المتمدن ما يزال إلى اليوم يصوغ امرأة من الذهب والعاج ليرضى رغبته الملحة . والعفريت والمرأة كلاهما نتيجة لذلك الايمان الشعري الذي ينكر الواقع ويمنو للخيال . كلاهما يتفجر من نفس المعين، ولو أن هذا قد هذب وذاك ما يزال في حاجة إلى التهذيب . وكلاهما نتيجة غريزة من الغرائز : الأول نتيجة الخوف ، والثاني نتيجة الحب الجنسي .

***

وقد ذهب النقدة لذلك إلى أن الشعر ليس من شأنه حقائق الأشياء ، وأن الحدود بين العلم والشعر ينبغي أن تكون ظاهرة لايعتدي أحدهما على الآخر. وليس عند هؤلاء شعراً مايعالج قضايا منطقية، بل ليس شعراً ما يعرض لنواحي الخلق العام . فان آفاق الشعر لا تمتد إلى حيث ينبغي أن يبدأ النثر . بل لقد أمعن الناقد الانجليزي Richards في ذلك حتى قال إن الكذب آية من آيات الشعر (١) فالشعر من الوجهة النفسية يرتكن على الخيال لا على الواقع ، والعقيدة الشعرية هي الحالة النفسية المثلى لعمل الشعر ، وهي كذلك الحالة النفسية لاستيعابه .

وإذا نحن حاولنا أن نطبق تلك المعايير النفسية على الشعر العربي وجدنا أنها تستقيم لحد كبير . والأصل في التشبيه والمجاز والاستعارة أن تكون خداعاً نفسياً . وليس الشعر شيئاً إلا إذا

(١) ذلك يتفق مع رأي المتأخرين من شعراء العباسيين فقد قالوا : أعذب الشعر أكذبه .

كان تشبيهاً ومجازاً واستعارة. على أن شعراء العرب قد علوا عن تلك المرتبة الأولى من مراتب القصيدة الشعرية، وبعضهم قد تخيل فأنطق الجماد، وبعضهم قد تدله فصور المرأة تصويراً نفسياً دقيقاً.

وإليك بعد ذلك بعض أبيات لابن خفاجة الأندلسي يصف فيها جبلا حتى ترى معي إلى أي حد تنطبق هذه القطعة على الواقع وإلى أي حد تنطبق على الخيال:

وأرعن طماح الذؤابة باذخ ... يطاول أعنان السماء بغارب
يسد مهب الريح عن كل وجهة ... ويزحم ليلاً شهبه بالمناكب
وقور على ظهر الفلاة كأنه ... طوال الليالي مفكر في العواقب
يلوث عليه الغيم سود عمائم ... لها من وميض البرق حمر ذوائب
أصخت إليه وهو أخرس صامت ... فحدثني ليل السرى بالعجائب
وقال إلى كم كنت ملجأ قاتل ... وموطن أواه تبتل تائب
وكم مر بي من مدلج ومؤوب ... وقال بظلي من مطي وراكب
ولاطم من نكب الرياح معاطفي ... وزاحم من خضر البحار غواربي
فما كان إلا أن طوتهم يد الردى ... وطارت بهم ريح النوى والنوائب
فما خفق أيكي غير رجفة أضلع ... ولا نوح ورقي غير صرخة نادب
وما غيض السلوان دمعي وإنما ... نزفت دموعي في فراق الصواحب

وأحسب أن كل بيت من هذه الأبيات جدير بالتقدير. وهي جميعاً تكون وحدة جمالية لها أثر كريم في النفس. على أنها لا تنطبق على الواقع إلا قليلاً. فاذا أنت حاولت أن تتأثر عنصر الحقيقة من هذا الشعر لم تجد من هذا البيت وذاك البيت إلا أنه كان جبلاً عالياً مر كثير من الناس به في أيامه الخوالي. أما الجبل الذي يسد مهب الريح والذي يعتم عمامة سوداء من النسيم لها ذؤابات حمر من البرق؛ هذا الجبل الذي يسكن فيفكر، ويتحدث فيتفلسف، والذي ترجف ضلوعه من الأسى، وتذرف دموعه من الوجد؛ ذلك الجبل ما هو إلا خيال سام يصور الواقع لكنه فوق الواقع؛ وهو هو الذي نسميه شعراً

وإنما تمتاز هذه القطعة من الشعر بالجمال لأن فيها وحدة تسوى بين أجزائها جميعا، وفيها كذلك علو بالخيال من بيت إلى بيت، فهي تبدأ بشيء كالواقع لكنها تنتهي بشيء كالخداع.

على أنك تستطيع أن تقدرها إذا كنت في حالة نفسية خاصة، حالة نفسية تعترف بإيمان الشعر أو بالخداع أو بالخيال (سمه ماشئت)

لكنك لا تستطيع أن تقدرها إذا أنت وقفت بين البيت وبين البيت تحاول أن تتشكك في صدق المعاني وتحاول أن تنكر على الجبل أن يتكلم أو على الغيم أن يكون عمامة أو على الأيك أن يكون ضلوعا

* * *

على أن ذلك الايمان الشعري يمتلك النفس أكثر ما يمتلكها عند قراءة القصة أو عند مشاهدة الرواية المسرحية أو عند قراءة ملحمة طويلة في الشعر. فاذا أنت ذهبت إلى المسرح لتشهد « هاملت » أو « سان جان دارك » فلست بمدرك ما في كل ذلك من الجمال إلا إذا وهبت نفسك لتلك العقيدة الشعرية. وربما علمت أن « هاملت » لم تحدث في التاريخ، وأن بعض وقائعها قد يكون محالا، وأن شبح الملك المقتول الذي يظهر فيها إن هو إلا ابتكار أتى به الخيال؛ ربما علمت كل ذلك ولكن أحسبك لا ترضى — وأنت مأخوذ بسورة الجمال — عن إنسان يحاول أن يقول لك إن هاملت لم تحدث وإنها كلها لغو من عمل الخيال. ذلك بأنك تحاول وأنت تشاهدها أن تمارس ذلك الخيال ممارسة شعرية فيحلو لك أن تنسى عقيدتك العلمية، ويحلو لك أن تؤخذ أنت بالعقيدة الشعرية وأن تخدع لأن ذلك الخداع في نفسه جميل. وهذا هو الذي يحدث بين جنوبنا حينما نبكي عند رؤية المأساة، وهو الذي يضحكنا عند مشاهدة المهازل والمباذل على الستار الفضي

يروى عن سيدة أنها كانت تشاهد « عطيل » على المسرح. وحينما مضى الفصل الأول والثاني وجاء دور الوقيمة التي قام بحبكها ياجو تأثرت السيدة تأثرا شديدا لأنها رأت أن ياجو يغرر بعطيل تغريرا. فصاحت بعطيل: « إن هذا الملعون يخدعك أيها الأسود الغبي » وفعل مثل ذلك أحد النظارة حينما رأى القوم يأتمرون بيوليوس قيصر، فقد حاول أن يطلع قيصر نفسه على سر المؤامرة. ومثل السيدة والسيد كثير بيننا. بل في الحق أننا جميعا مثل ذلك لأننا نكون مأخوذين بنوع من أنواع الخداع حينما نشاهد القصة المسرحية

ومثل ذلك يقال عن القصص الأخرى والروايات وعن الملاحم الشعرية الطويلة، فعلى قارئ هؤلاء أن يكون له من الايمان الشعرى ما يطوع له أن يرى نواحى الجمال فيها وما يستطيع به أن ينكر الواقع وأن يحسب الخيال واقعا. وفى الحق أن هذا أظهر ما يميز البيئات الأدبية التى ازدهرت فيها القصص المسرحية والشعر والروايات الأدبية الأخرى. والقصيدة الشعرية هي التى تفسر لنا كيف كان الناس يؤمنون أيام شيكسبير بتلك القصص التى صاغها للمسرح مع ما فى أكثرها من خروج عن جادة المنطق السليم. بل نحن لانستطيع أن نفهم رجلا كشيكسبير إلا إذا قدرنا غرام بيئته بالشعر المسرحى وبالقصة المسرحية. ولا يمكننا أن نقدر كل ذلك حتى نزن عقائدهم الشعرية.

وفى الحق أن شيكسبير قد أفلح فى خلق مسرحياته لأن القصيدة الشعرية ملكت نفوس الناس في عهد اليزابث. كان هؤلاء هم الذين يدفعون المال ليشهدوا المسرحيات، وكان هؤلاء عاملا هاما من عوامل الاخفاق أو النجاح. ولقد تميز هذا الجيل فى تاريخ انجلترة بأنه كان يؤمن إيمانا شعريا عميقا بما يلقى عليه حتى لقد كان يتذوق الشعر ويستوعب قصص المسارح. وكذلك يمتاز رواد السينما فى العصر الحاضر بتلك العقيدة الشعرية. والمسرحيات وروايات السينما فى نفسها تقوم على خداع العقل وخداع النظر وخداع السمع، لكن شيئا منها لن يصح فى روع الناظر أو السامع حتى يكون له قدرة على الايمان الشعرى.

احمد مكى
المدرس بدار العلوم

جورجيـــــاس
او البيان
لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٤ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة! »

« رينوفييه »

« إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين! »

« جورجياس: أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط: بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس: السفسطائى : « ج »
٣ — شيريفين: صديق سقراط : « ش »
٤ — بولوس: تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس: الأثينى : « ك »(١)

ط — وإذاً فقد رأيت بالمقارنة يا بولوس أن طريقة مناقضتك لا تشبه طريقتى فى شىء. فأنت تفضل موافقة « الجميع » على موافقتى، وأنا أفضل اقتناعك وحدك وشهادتك وحدها، ولذلك قد عنيت بكلامك وتصويتك ولم أعن بالآخرين؛ فليبق ذلك إذاً معروفاً فيما بيننا، ولنمض الآن إلى اختبار النقطة الثانية التى كانت موضوع نزاعنا. أترى « العقاب » عند « الاجرام » أفدح الشرور كما ظننتَ، أم ترى « الفرار من العقاب » هو الأفدح كما ظننتُ أنا؟ أو فلنمض هكذا: ألست ترى أن كلا من « العقاب بعدل »، و « لقاء جزاء الخطيئة » واحد؟

(١) انتهى سقراط فى العدد الماضى من إثبات أن ارتكاب الظلم أفدح من احتماله. وستراه اليوم محاولا إثبات أن الفرار من العقاب أفدح من التقدم إليه « المعرب »

ب — بلى

ط — والآن هل تستطيع أن تقول إن كل ما هو عادل ليس « بجميل[1] » بقدر ما هو عادل ؟ فكر قبل أن تجيب !

ب — بلى يا سقراط فانى أعتقد أن الأمر كذلك

ط — فلنفحص ذلك أيضاً ، إذا فعل « فاعل » شيئاً ، ألا يكون ضرورياً أن يكون هناك « منفعل » يتأثر بفعل « الفاعل » ؟

ب — يلوح ذلك

ط — وذلك الذى يتحمل ما يفعل الفاعل ؛ ألا يجب أن يكون تابعاً له تماماً ؟ ولنأخذ مثلا : إذا طرق أحدهم ؛ ألا يجب أن يكون هناك « شيء » يطرق ؟

ب — بالضرورة

ط — وإذا طرق الطارق بشدة أو بسرعة ، ألا يكون الطرق على المطروق شديداً بالمثل أو سريعاً ؟

ب — بلى

ط — وإذاً فالنتيجة بالنسبة للمطروق كما يريدها الطارق !

ب — نعم

ط — وبالمثل إذا أحرق إنسان ، فيجب أن يكون هنالك « شيء » يحرق !

ب — حتما .

ط — وإذا أحرق الحارق بشدة وسبب ألماً شديداً ، فان المحترق يتأثر كما يريد الحارق ؟

ب — نعم

ط — وإذا قطع إنسان ألا يكون الأمر بالمثل إذ يكون هنالك « مايقطع » ؟

ب — بلى .

ط — وإذا كان القطع واسعاً أو عميقاً أو مؤلماً ، أفلا يقاسى « المقطوع » ماريده القاطع ؟

ب — ذلك واضح

ط — فلنر بالاجمال إذا كنت توافقنى على ماقلته توا فى جميع هذه الحالات : وهو أنه كما يكون فعل المؤثر تكون النتيجة فى المتأثر

ب — إنى أوافق

ط — وإذا كان الأمر كذلك نخبرنى : أتحمـل العقاب فعل وإيلام أم انفعال وتألم ؟

ب — إنه بالضرورة « انفعال وتألم » ياسقراط

ط — فهو إذا « ألم » من ناحية شخص « فاعل » ؟

ب — بلا شك لأنه « ألم » من ناحية من يعاقِب

ط — ولكن ذلك الذى يعاقِب بعقل وحق ، أتراه يعاقب بعدل ؟

ب — نعم

ط — وإذا فهل تراه يقوم فى عقابه بعمل عادل أم لايقوم ؟

ب — إنه يقوم بعمل عادل !

ط — وذلك الذى يلقى جزاء خطيئة ارتكبها ، ألا تراه يُعامَلُ معاملة عادلة ؟

ب — ذلك ظاهر

ط — وقد اتفقنا على أن العادل جميل ؟

ب — من غير تناقض

ط — وإذا فأمامنا رجلان ، أحدهما يفعل فعلا جميلا ، والآخر — وهو المعاقب — يتحمل ذلك الفعل ؟ !

ب — نعم

ط — ولكن إذا كان العمل جميلا فانه يكون حسنا ، لأنه إما أن يكون جميلا أو نافعاً

ب — ذلك محتوم !

ط — وإذا فذلك الذى يتحمله المعاقَب ويقاسيه شيء حسن

ب — يلوح هذا

ط — وهو يخرج منه على ذلك بنفع ؟ !

ب — نعم

ط — وهل هذا « النفع » هو النفع الذى أتصوره ؟ هل تهذب نفسه إذا عوقب بعدل ؟

ب — ذلك محتمل جدا

ط — وإذا فذلك الذى يعاقَب يتخلص من رداءة نفسه وشرها

---

(١) ذلك لأن العدل « ترتيب » ، والترتيب نظام ، والنظام جمال ، بينما الظلم فوضى ، والفوضى قبح ، وإذاً يكون عقاب الظلم ارتدادا إلى النظام والجمال « المعرب »

ب — نعم

ط — أولا تراه يتخلص بذلك من أفدح الشرور ؟ لنختبر السؤال على ذلك النحو ؛ أذلك الذى يريد أن يجمع ثروة كبيرة ، أهناك — فيما تتصور — شر له غير الفقر ؟

ب — ليس من شر له غير هذا !

ط — وفى تركيب الجسم : أليس الضرر فى رأيك هو الضعف والمرض والتشويه وكل النقائص التى من ذلك النوع ؟

ب — بلى

ط — أو لا تعتقد أن للنفس هى أيضا نقائصها ؟

ب — بالطبع

ط — أو لا تطلق على هذه النقائص الظلم والجهل والجبن وأسماء أخرى مماثلة ؟

ب — بالتأكيد !

ط — وإذن فقد عرفت أن لهذه الأشياء الثلاثة : وهى الثروة والجسم والنفس ، ثلاثة رذائل وشرور ، هى الفقر والمرض والظلم

ب — نعم

ط — والآن أى هذه الرذائل أكثرها « قبحاً » ؟ أليست هى الظلم ، وأعنى به رذيلة النفس ؟

ب — من غير جدال

ط — وإذا كانت هذه الرذيلة أكثرها « قبحاً » ، فهى بالأحرى أكثرها « رداءة » ؟

ب — وكيف تقول بذلك يا سقراط ؟

ط — ذاك هو السبب . أليس أقبح الأشياء قبيحا هكذا لأنه يسبب « ألماً » أكثر ، أو « خسراناً » أفدح ، أو هما معاً ؟ ذلك ما قلناه من قبل !

ب — تماماً

ط — أو لم نعرف منذ هنيهة أن أقبح الأشياء هو « الظلم » أو هو بوجه عام « رداءة النفس » ؟

ب — لقد عرفنا ذلك حقاً

ط — أوليس أقبح الأشياء قبيحاً هكذا لأنه أكثرها ألماً وإيلاماً ، أو أكثرها خسراناً ، أو أكثرها جلباً للاثنين معاً ؟

ب — بالضرورة

ط — وإذن فالألم الأكثر فى أن نكون ظالمين وشرهين وجبناء وجهلاء ، وليس فى أن نكون فقراء ومرضى ؟

ب — يبدو لى أنه كذلك ياسقراط تبعاً لما قلنا .

ط — وإذاً يجب أن تكون « رداءة النفس » أقبح الأشياء ، لأنها تفوقها جميعاً بما تسببه من خسران هائل خارق للمعتاد ، ومن شر مسرف عجيب ، لا من الألم فحسب تبعاً لقولك

ب — ذلك واضح

ط — وذلك الذى يزيد هكذا بالخسران المفرط هو أفدح ما يوجد من الشرور ؟

ب — نعم

ط — وإذاً فالظلم والشره « ورداءة النفس » على العموم ، هى أفدح شرور العالم ؟ ؟

ب — ذلك ظاهر

ط — والآن ما هو الفن الذى يخلصنا من الفقر ؟ أليس هو الاقتصاد ؟

ب — بلى

ط — ومن المرض ؟ أليس هو الطب ؟

ب — بلى ، من غير نزاع

ط — ومن رداءة النفس وظلمها ؟ إذا كان وضع أسئلتى على ذلك النحو يحيرك فسأجملها هكذا : إلى من نذهب بأولئك الذين هم مرضى الجسوم ؟

ب — إلى الأطباء يا سقراط

ط — وإلى من نذهب بأولئك الذين يتركون نفوسهم فريسة للظلم والشره ؟

ب — أتريد أن تقول إننا نذهب بهم إلى القضاة ؟

ط — أليس كذلك كيما يلقوا جزاءهم ؟

ب — بلى

ط — والآن ألا نعاقب الناس ، عند ما نعاقبهم ، بحق لأنا نطبق « عدلا » خاصا ؟

ب — ذلك واضح

ط — وهكذا يحررنا الاقتصاد يا بولوس من الفقر ، والطب من المرض ، والعدالة من الظلم والشره !

ب — ذلك واضح

« يتبع » محمد حسن ظاظا

من مشاكل التاريخ

طبيعة الفتح الاسلامي (*)

للأستاذ خليل جمعة الطوال

اعتاد المؤرخون الأقدمون ، وجاراهم في ذلك بعض المحدثين أن يسموا وقائع الفتح الاسلامي «غزواً» ؛ وفاتهم ما تحمل هذه الكلمة في تضاعيفها من معاني النهب ، والسلب ، والعبث ، والتمثيل ، وما هو في أحكام هذه الأمور من أنواع الجرائم والشرور التي نهى عنها الاسلام وتجافاها المسلمون في فتوحهم . ولقد أطلق هؤلاء المؤرخون هذه الكلمة على الفتح الاسلامي سهواً وتساهلا ، وما أحسبهم قصدوا بها هذه المعاني المستنكرة التي تؤدي إليها ؛ فأخذها عنهم المتعصبون على الاسلام ، والكارهون لهذا الدين الحنيف وفسروها بما أملته عليهم منازعهم وأحقادهم ، ثم روجوا لها في كتاباتهم ، حاسبين أنهم بذلك قد قوضوا أركان الاسلام ، وصدعوا بنيان حضارته ، تلك الحضارة السامية التي ما زالت ولن تزال منارة العدل والانسانية والحرية

وأكثر ما يضحكنا من هذه البدع المضلّلة ، والحملات الطائشة ، ما جاء في كتاب تاريخ آسيا لهربرت كوفين إذ يقول : « إن الديانة الاسلاميـة التي يقدمها مائتان وثلاثون مليوناً من الناس تنطوي على آثام اجتماعية تئن منها الانسانية ، وإنها لم تقم إلا على حب الغزو والنهب ! »

وما هرف به أيضاً العالم الأثري كارمون جانو إذ يقول : « إن الحضارة الاسلامية ليست إلا فظائع الغزو العربي »

ولئن كان لهؤلاء عذرهم في جهلهم أساليب اللغة العربية وتجاهلهم حقيقة البلاد العربية وتاريخها ، فما بال القارئ بمن يعيش في بيئة هذه الأمة ، ويقف على أساليب لغتها ، وبدائع حضارتها ، ثم لا يرى لها بعد ذلك حسنة إلا مسخها سيئة . . . بل سيئة تكاد ألا تكون في مقدور بشري مهما كانت درجة انحطاطه في سلم المدنية ، وحلقة التطور ! وأعني بذلك الرجل المتحامل المتغرض الأب لامنس إذ يقول : « إن العربي أثبت في فتوحه أنه جبان ضعيف في الجندية ، لا يفكر في غير المغانم ، وأن العرب ظهروا كما كانوا على عهد الرسول وسطاً في القتال ، وعلى استعداد للنهب ، يحجمون أمام الخطر . . .

وأن لا قابلية لهم بشيء من أسباب الحضارة ، بل الفضل لأولئك المتفسخين في فارس والعراق والشام ومصر وغيرها ، من الأقطار التي افتتحت ، وأن الحروب الصليبية وقائع البسالة ، وكان الصليبيون عجباً بأنظمتهم وترتيباتهم ، وأن اليهود عوملوا في عهد الحروب الصليبية في الغرب معاملة حسنة»

عجباً ! أفنتصم بكل هذه الوحشية ويظل في الدنيا من يذكرنا بخير ويدرس تاريخنا بإعجاب ! ويشهد بحضارتنا بفخر وإكبار ؟

وإننا إذ نحاول دحض هذه المفتريات ، وإزالة هذا الكلف من وجه التاريخ ، فلسنا نكيل لها الحق بالصاع الذي كالت لنا به التهم والشتائم ، وإنما نستند في تفنيدها إلى استفتاء التاريخ ، واستنطاق الحق واستقراء الحوادث ، ثم إلى شهادة من لا تجمعهم بالعرب صلات الرحم وعلائق الدم وأواصر القربى ، ولا أية صلة تدفعهم إلى التحيز

إن الدعوة الصالحة لدين الله هي الأساس الذي ترتكز عليه دعائم التاريخ الاسلامي ، ذلك التاريخ المجيد الذي لم ينصف قط بمنازع الأهواء ، وأغراض العالم

ومن سمع بقوم يخرجون في سبيل ربهم ، يدعون أعداء الله إلى الله ، فيلاقي هؤلاء في طريقهم القتاد .. والأشواك ، ويعفرون وجوههم بالطين والتراب ، ويحرضون عليهم سفهاءهم وصبيانهم ينالونهم بمختلف أنواع المهانات والموبقات ؛ فيهجرون أوطانهم وأملاكهم وأغنامهم ، وإبلهم ، ليشتروا بها نفوسهم ! ثم يبيعون نفوسهم للموت ليشتروا بها وجه ربهم ؟ من سمع بقوم تكون هذه حالهم وتظل نفوسهم مع ذلك متعلقة بأعراض الدنيا الزائلة ، بمباهج الحياة الفانية . . . ؟

إن الغزو — وما في معناه — لا يكون إلا بين القبـائل المتباعدة ، والعشائر المتعادية ، فيغزو بعضها بعضاً ، طلباً لأخذ ثأر ، وأملاً بكسب غنيمة ، والكل يعلم حق العلم أن المسلمين

(*) صورة من كتابنا « تحت راية الاسلام » الماثل للطبع

لم يناهضهم بادئ بدء إلا أهلهم الأقربون ، ومنهم لحمهم ودمهم ، وعشيرتهم القرشية ، وفيها عصبيتهم ونخرهم . ولسنا نعلم قط أن قبيلة كانت إلباً على غيرها فانقلبت فجأة وصارت حرباً على نفر من أفرادها ، طمعاً فى مغنم ... ! أو حبًا فى أخذ ثأر ... !

وأى ثأر يكون لكل من على ، وأبى بكر ، وابن الخطاب ، ومن إليهم من المهاجرين عند إخوانهم القرشيين فينضموا إلى جانب محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو من علمت بضعف بطانته وقلة عدته وعتاده للأخذ به ... ؟

ألأجل غنيمة يهجر الانسان بيته ووطنه وماشيته وثروته ، ليكافح أهله ، ويناوئ عشيرته ... ؟ كلا ... ! ثم كلا . لقد خرج هؤلاء على أهلهم من أجل دعوة سامية ، وما قاتلوا وجاهدوا إلا في سبيل الذب عنها « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »

أرأيت كيف أن الاسلام لا يبيح الاعتداء مطلقاً ، ولا يوجب القتال فى سبيل الله إلا دفاعاً ... ؟ !

لقد هاجر المسلمون عن بلادهم إلى يثرب هرباً بعقيدتهم السامية من أن يئدها الشرك ، وهى لما تؤد للعالم رسالة الحق والتوحيد . وهناك فى يثرب تعاود النفوس عنجهية القبيلة ، وشنشنة الجاهلية ؛ ويكاد الشر أن يستفحل بين المهاجرين والأنصار ، لو لم يتدارك النبي (ص) الموقف فيقف فيهم منادياً : «يا معشر المسلمين : الله الله . اتقوا الله . أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الاسلام ، وقطع به عنكم أمور الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم »

أرأيت نبل هذا الخطاب وسموه ؟ لم يقل أيها المهاجرون ! ولا أيها الأنصار ... ! فليس فى الدين قبائل ولا عشائر ، وإنما الجميع إخوة ، ففيم إذاً نخوة الجاهلية ، وحزازات الصدور ، وشنشنة النفوس ... ؟ وفيم القتال فى غير سبيل الله ؟

ولقد اقترح بعض الصحابة على النبي بعد ما استقروا في المدينة أن يأذنوا قريشاً بالحرب ، ويقاتلوها ويجزوها شراً بشر فيشفوا صدورهم مما تجد عليها ، فدعاهم النبي إلى السكينة ، وقال لهم : « لم يؤذن لى بالقتال بعد »

فأى إنسان بشرى تناله قريش بمثل ما نالت به النبي (ص) ويكون فى بطانة قوية أطوع له من بنانه ، ثم تعرض عليه أخذ الثأر له فيدعوها إلى الهدوء والسكينة ، لأنه لا يقاتل طلباً لثأر ، ولا شفاء لغيظ ، بل استجابة لأمر ربه ، وهو لم يأمره بالقتال بعد

وظن بعض الجاهلين أن النبى إنما استمال اليثربيين بما توعدهم به من المغانم المادية ، والاسلاب العظيمة ، وهم في ظنهم هذا أبعد ما يكونون عن الحق . وحاشا للنبى أن يشحن النفوس بمثل هذه الأمانى الباطلة الفانية « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » وإنما أغراهم بشيء أسمى من المغانم ، وأسمى من الذهب والفضة ؛ وذلك العلق النفيس الذى تشوفت إليه النفوس كان ... الجنة ...

ألا فانظر إلى هذا الموقف السامى الذى وقفه الرسول (ص) فى صفوف اليثربيين عند ما حاول أخذ بيعتهم ، وقف صلى الله عليه وسلم وقال :

— أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

فمد البراء بن معرور يده ، وكان سيد قومه وكبيرهم ، وقال: بايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحلقة : ، ورثناها كابراً عن كابر .

وهم القوم بالبيعة فاعترضهم العباس بن عبادة قائلاً : « يامعشر الخزرج ! أتعلمون علام تبايعون هذا الرجل ؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس . فان كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأخذ أشرافكم قتل أسلمتموه فمن الآن فدعوه فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة . وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة »

فأجاب القوم : إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا يارسول الله إن نحن وفينا بذلك ؟ . .

وكان المنتظر أن يعنيهم بخير الدنيا وجاهها ، وكان المنتظر أن يعنيهم بما تمنى به القادة والساسة المتحمسين إذ يسوقونهم إلى ساحات القتال ، ويعدونهم بشتى الوظائف والأموال ؛ ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، بل سكت هنيهة ، ثم رد عليهم مطمئناً وقال :

الجنة ... !

لقد كان الفتح الاسلامى فتحاً دينياً مبيناً لا شائبة فيه للأهواء المادية ، وكانت تسيره عاطفة روحية سامية تمقت الغزو والنهب والسلب . وليس أدل على ذلك من هذه الكلمة السامية التى ترويها لنا كتب السيرة عن النبي (ص) حين كان يطوف بقومه في بدر ويقول : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة ... » . فقال عمير بن الحمام وبيده تمرات يأ كلها : بخ بخ ، ما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ! ... ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل

ولقد كتب الله للمسلمين فى هذه المعركة النصر على المشركين وأسروا منهم سبعين أسيراً ، وكان منطق الغزو يقضى أن يفتك بهم ، بل كان منطق الحرب ... يقضى أن يفعل بهم ذلك أيضاً لا سيما وقد ناله منهم قبلا الذل والمهانة ، ولكن الاسلام لا يقر أخذ الثأر ، ويأبى على المسلمين أن يقاتلوا لهوى وحقد فى نفوسهم ؛ ولهذا فقد قبلوا منهم فدية قانونية عادلة (لاتتجاوز مقدور أضعفهم) بل إن فيهم من أطلق سراحه بتعليم عشرة من أطفال المدينة القراءة والكتابة ، وهذه الفدية الجديدة تنافى ما أشيع من عداء الاسلام للعلم وحثه على الغزو

وكان من أسرى بدرسهيل بن عمرو ، وكان سهيل قد شنع بخطبه على الرسول ، فقال له عمر بن الخطاب : دعنى أنزع ثنيتى عمرو فيدلع لسانه ، فلايقوم عليك خطيباً فى موطن أبدا

وكان ذلك أقل ما يجب أن يفعله الرسول (ص) برجل شنع عليه بخطبه ، وهو لو فعله لما تجاوز العدل قط ، ولكن الرسول (ص) تنزه عن الحسد ، والحقد ، وتطهر قلبه بالاسلام من جميع أهواء النفوس فى الجاهلية ، فما كان منه إلا أن قال : «لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبياً »

ياله من إيمان سام ! يعلو بالنفس عن أحقاد الدنيا ، ويجعلها على اتصال بخالقها ، فلا تتدلى لحضيض الأهواء البشرية الفاسدة

فقد أدب الله نبيه فأحسن تأديبه ، وليس من الأدب قط أن يمثل الانسان بأخيه ولو كان نبياً ! ... ولذا أبى الرسول أن يمثل بسهيل بن عمرو ، بل رده إلى قومه عزيزاً مكرماً ، ليعلم البشرية بذلك درساً ساميا كاد جهلها به أن يرديها فى هوة الشقاء .

ولسنا نتبين جلال هذا الموقف ، وسمو هذا العفو ، إلا بمقارنتهما بتمثيل قريش وغدرها .. فمن ذلك ما حدث لقتلى المسلمين فى واقعة أحد « فقد طافت هند بن عتبة والنسوة اللاتى جئن الميدان معها ، تجدع آذان القتلى وأنوفهم؛ ولما وصلت إلى حمزة بن عبد المطلب بقرت بطنه وأخرجت كبده فلا كتها فلم تسغها فلفظتها واتخذن من آذانهم وأنوفهم قلائد عدن بها إلى مكة»

وانظر إلى هذه الحادثة التى يتمثل فيها اللؤم والغدر بأجلى مظاهرهما ، والتى قابل بها المشركون القرشيون إخوانهم المسلمين بعد أن عفوا عن أسراهم ، وكان فى قدرتهم أن يمثلوا بهم ، ويجزوا أعناقهم عن أجسادهم ؛ فقد طلب أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامرى من النبى (ص) بعثاً يبشر قومه فى نجد ، وكان النبى يعرف غدر قريش والمشركين ، وكان يقدرسوء مصير هذا البعث الذى سيبعثه إليهم ، ولكن عامر بن مالك ما زال به حتى حمله على إنفاد هذا البعث ، فلقيهم عامر بن الطفيل عند بئر المعونة ففتك بهم جميعاً دون أن يبدؤوه بحرب أو عداء ، وهكذا قضوا فى سبيل الله يحملون إليه أرواحهم الطاهرة على أكفهم البريئة وكانوا (٧٥) شهيداً ، فتأمل ! ...

ولقدكانت هذه الحادثة ، وما تجلى فيها من ضروب التفظيع كافية لأن تستفز النفوس الغافية ، والأحقاد الجاهلية والحزازات الدميمة ، ليأخذ المسلمون بثأرهم ، ولكن هيهات ! هيهات !

فعصر الثأر قد مضى وانقضى ، وليس لهم إلا أن يصبروا على هذا الكيد والبلاء

وفى غزوة دومة الجندل دعا النبى عبد الرحمن بن عوف وسلمه اللواء وقال له : « خذ يا ابن عوف، سيروا جميعاً فى سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم »

فمن هذه الوصية الخالدة ، وما فيها من أسمى المبادئ الانسانية تتبينون حقيقة الاسلام وقاعدة جهاده ضد من كفروا بالله وناوؤا رسوله ، وأذلوا المؤمنين ...

« البقية فى العدد القادم »

خليل جمعة الطوال

الى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة الآنسة (ديلافيلد)

للأستاذ أحمد فتحى

لقد ظلت أول قصة كتبتها حتى اليوم بغير أن تنشر ، ومن ودى أن تبقى كذلك أبد الدهر دون أن تخرج للناس

ولقد كتبتها أيام كانت أحلام مثيلاتى من الطالبات منحصرة فى أن يتم للواحدة مرح الشابة « الأيرلندية » العابثة !. ومن المحقق أننى كنت متأثرة في قصتى الأولى بهذه الروح . وإنى لأذكر عنها القليل جدا ، ومن ذلك القليل أن البطلة كانت تسمى « بليس » وأننى جعلتها تموت وهى غضة السن : أعنى لم تعدُ السبعين ! بينما كنت أنا بين الثانية عشرة والرابعة عشرة. ولم يكن الحب — فى تلك الأيام — ليخطر على بال إنسان لم يودع عشرين ربيعاً من عمره

على أن كثيراً من المشاهد التى كنت قد بنيت عليها هيكل تلك القصة ظل عالقاً بذهنى مدى عشر سنوات كاملة ، تقمص بعدها إهاب قصتى الأولى الجدّية « زيللا »

* * *

وربمـا كان من الخير أن أشير هنا إلى أن قصتى الأولى « زيللا » لم تكن أكثر من دراسة « سيكلوجية » لفتاة بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، كان عليها أن تعانى اضطراب ورائة مختلطة تضطرب بين انجليزية وفرنسية

وحينما فكرت فى أمرها أول الأمر وأنا فى غرفة دراستى ، كنت أوثر أن تكون لها نفس صافية ، بينما تفتقر إلى الخلق الشخصى القويم ، حتى أنها تخدع نفسها بنفسها ، وينتهى بها الحال إلى أن تعود غير خليقة أن تؤتمن على أية حقيقة على وجه الإطلاق

ولم تكن القصة التحليلية — حينذاك — قد عرفت سبيلها إلى الذيوع ؛ ولاسيما فى الأوساط المدرسية ؛ وبذلك كان اختيارى الطبيعى لهذا الطراز محددا للمنهاج الذى التزمته ودرجت عليه فى مستقبل أيامى

ولقد علمت ، عامدة أو غير عامدة ، أن البطلة الأنموذج فيما كان تتاح لي قراءته من القصص ، لم تكن تمنى كثيراً بمطابقة الحقيقة ومحاكاتها . حتى أن تلك القصة العظيمة التى كتبتها « مارى كولنديلى » باسم « الطعام الأحمر » والتى ضمنتهـا كثيراً من أروع الشخصيات ، لم تخل من هفوة أوشبه هفوة ، فى تصوير بطلها « راشيل » فتاة خيرة راجحة العقل . فان المؤلفة لم تشأ أن تبرز بطلة قصتها فى الصورة السمجة التى لا بد أن تكون عليها فى الحياة الواقعة ؛ وهذا سر ضعفها . بل لقد بلغ إبرازها بهذا الوصف الخير من الثقل حد الطغيان على باقى شخصيات هـذه القصة التى اختلط فيها الخير والشر مثـل اختلاطهما فى أفراد الجنس البشرى بغير استثناء !

ولقد أوليتُ هذه القصة « الطعام الأحمر » عناية فائقة ، لأنها كانت أول قصة عصرية حيوية أذكر أننى قرأتها بعين النقد وأعدت قراءتها مرات ومرات ، كما أصنع دائماً بالكتب التى أفضلها ، وبذلك استطعت أن أحللها بكل دقة ، فى حدود طاقة طفلة فى مثل سني حينذاك

ولقد وضح لى منذ ذلك الحين أن رغبات الناس وتأثراتهم حيال الظروف المختلفة أمر ليس من السهل أن يُقرأ ، أو يُكتبَ عنـه ، وأن تنزيه المؤلف لبطل قصته عن الأخطاء ، من أشنع الأخطاء ! وكذلك أنجيت بطلة قصتى « زيللا » من التعرض لمثل هذه المؤاخذة . والحقيقة أنه كان يروق لى أن أبرز نقائصها أكثر مما كان يروقنى إبراز ما فيها من فضائل ، فلم أكن أرغب مطلقاً أن أسمو بها عن المزالق الطبيعية التى يتورط فيها نظائرها من الشباب !

وبعد بضع سنين ، حين كانت القصة بين يدي الناشر ، كاشفته برغبتى فى تغيير اسمها باسم آخر رمزى هو « الحرباء » ولكنه زدّنى عن هذه الرغبة فى رفق ، زاعماً أن من القسوة على

البطلة أن أشبّهها بهذا الحيوان البارد المتلوّن !

على أنه قد يوجهنى أن أضيف إلى ما تقدم أننى حين كتبت « زيللا » لأول مرة ؛ وقبل أن أبدل فيها كثيراً أو قليلا ؛ كنت قد ختمت فصولها بمأساة فاجعة . وكذلك كانت تُختَتَم غالبية القصص التى قدر لى أن أقرأها إلى ذلك العهد . وعلى أى حال فقد كنت في سنّ لايتورع فيها الانسان من أن يبتسم للفواجع ! وإنما كنتُ فى الواقع أفوق من عاصرونى بجمل الفكرة فى قصة « زيللا » تمهّد لتصوير البطلة فى موقف مفاجأة عنيفة يتلخص فى اقتحامها بيتاً وهو يحترق ، كى تنقذ طفلا ؛ فاذا بها تجد نفسها طعمة للنيران فتحترق وتموت !

وأظن أنى شعرت فى غموض بأن وجود هـذا الطفل فى ذلك البيت المحترق ، يعلل اقتحام الفتاة النيران بدافع غير سيّء ! حتى ولو لم يكن الدافع لهـا على ذلك هو روح بطولة ، وأؤكد أننى لم أتصرف تصرفاً كهذا فى حياتى ، مهما كان الدافع إليه مما يجعله — فى نظرى — على درجة عظمى من البطولة الحق ! !

على أننى قرأت بعد ذلك بأمد ، كتاباً للمستر « روبرت هيوبنس » اسمه « الجبان » انتهى أمر بطله إلى نفس تلك النهاية ذاتها ، غير أن الصورة النفسية فيه كانت أقلّ رداءة ! كما أنى قبل أن أضع لختام قصتى فكرة احتراق البيت ، كنت أنوى أن أختتمها بانتحار البطلة ! وكانت خاتمة كهذه خليقة بإنجاح القصة فى نظرى !

* * *

وبعد أن لبثت هذه الخواطر الفجّة المتداعية متأرجحة فى ذهنى ست سنين أو سبعاً ؛ نتج منها آخر الأمر شيء له هيكل « القصة » ... على أن عملي لم يكن ليتجاوز تصوير بعض الشخصيات التى خالطتها وخبرتها من كثب وتأثرت بها فى مدارس الرهبنة

وإنى لأذكر جيداً أننى لم أنفق أكثر من ستة شهور أوسبعة فى تسجيل فصول هذه القصة تسجيلا نهائياً . على أنى لم أكن أكتب إلا فى أوقات فراغى ؛ وقد أخذت أوقات الفراغ هذه فى التضاؤل بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، واستؤنفت الأعمال بهمة ونشاط

على أن فصول القصة لم تُكتَب تباعاً ، وإنما كنت أشرع فى الكتابة حالما أحس الرغبة فى ذلك ، فأثبت الحلقات الضرورية ، بحيث أصل بين الصفحات كلما بدا لى أنها قد انفصل بعضها عن بعض . وهذه الطريقة — إذا جازت تسميتها كذلك — كانت كل ما فى وسعى ، لأنه لم تكن لدى أية فكرة إنشائية عن فن القصة ، بل لم يكن وجود مثل هذه الفكرة ليخطر ببالى . وإنى لأتصور أن قليلا من قصص الناشئة قد كتب بمثل ما كتبت به حرارة العاطفة . ولقد استمرأت الكتابة بسرعة وبقلة اكتراث ؛ وكان مضحكا أن أقرأ الفصول الطوال على أصدقائى فى صوت مرتفع ؛ وكان من هؤلاء الأصدقاء واحدة فقط تتنبأ لقصتى بصلاحيتها للنشر ، وربما لم يكن بين الباقين من آمن بصحة نبوءتها !

وفرغت من الكتابة فى « إيستر » عام ١٩١٦ حين كنت معتزمة الرحيل ، وقد كنت أؤمل أن أنتهى من أمرها قبل رحيلي ، وإنى لأذكر جيداً كيف كتبت بعض الصفحات الأخيرة وأنا جاثية إلى منضدة ، بسبب عـدم وجود مقاعد ساعتذاك فى بيت الغرباء الذى كنت فيه ، وما كدت أنتهى من الكتابة على هذا النحو حتى هرعت فلحقت القطار

* * *

وإنى الآن لأستدعى ذكريات صفحات هذه القصة بعد فراغى من كتابتها بقليل ، وكيف كنت لا أظن كلة واحدة منها تحتمل الحذف ، فضلاً عن جريان القلم الأحمر على نصف صفحة كاملة مثلاً . وكذلك كنت شديدة الاعتداد بهذا العمل الأدبى الذى كتبته بأقصى سرعة تسمح بها حركة القلم على الورق ، حتى أننى كنت شديدة الاعتقاد بأن قصتى فوق التنقيح وفوق التصحيح

على أنى لا أزال حتى اليوم ، وبعد احتراف الكتابة عشرين عاماً ونيفاً ، كما كنت وثيقة الايمان بأن إعداد الفصول للنشر إعداداً نهائياً هو أصعب مراحل الانتاج الأدبى على وجه الاطلاق

ومن الخير أن اسمي المستعار الذى ظهرت به أعمالى الأولى كان من اقتراح شقيقتي ولكنه لم يكن من ابتداعها ، إذ كان اختراع قصصى معاصر شهير ، ولكننى وفقت إلى توقيع حرف حسن هو « ا . م » ولم أكن أقصد به أن يخطىء الناس فيظنونى رجلا ولكننى استعملته متابعة لكاتب معاصر كنت ولا أزال أقدمه على سواه .

ونصحت لى إحدى الصديقات بالبحث عن ناشر ؛ ولم تلبث هي أن قدمت قصتى إلى « وليام هاينمان » فوافق على نشرها على الفور . ولا أزال أحتفظ بذلك الخطاب الرقيق الذي بعث به إلى حينذاك .

ولم يكن لأمي علم بأننى وضعت كتاباً . ولقد كان عندها واحد من الأقرباء لا يفقه الأدب حين بلغتها برقية مني بأن كتابي قد وافق عليه الناشر ! وبعد ساعة واحدة ، وصلتها برقية أخرى علق عليها ذلك القريب الجاهل بقوله لأمي « لعلها تخبرك أن الأكاديمية الملوكية قد قبلت إحدي لوحاتها الزيتية » ؟ !

وعلى أى حال، فقد كان اسم «زيللا» من وضع مكتب الناشر « هاينمان » وربما كان على التحقيق من وضع المستر «ف تومسون» الذى كان يقرأ له كل ما يراد نشره !

وظهر الكتاب فى مارس ١٩١٧ . وصادف ظهوره نجاحاً فائقاً كباكورة أعمالى القصصية . وقد ظل الناشر نفسه يجهل اسمى الحقيقى حيناً طويلا بعد ذلك

ومما هو جدير بالاشارة أن المستر « هاينمان » قد تفضل — بعد ظهور الكتاب — فدعاني إلى الغداء ، حيث قدمنى إلى ثلاثة من مشاهير الأدباء المعاصرين ، وهذا ما لم يكن يطمع فى مثله ولا بعضه أى قصاص مبتدئ ! ولكننى كنت صغيرة السن جداً كما كنت قليلة الخبرة بأمور الحياة الأدبية ، فلم أومن بهذا الفضل ! بل إن غداء المستر « هاينمان » قد ظل أول وآخر عهدى بالمجتمعات الأدبية إلى الآن !

***

وكلما أعدت قراءة قصتي الأولى « زيللا » بعد الطبع ، استرعت نظري فيها جدة خاصة ، أظنها الطابع المميز لمعظم الأعمال القصصية الأولى ، كما تسترعى انتباهي أيضاً طريقة كتابتها التى أصبحت بها بعيدة العهد . والواقع أنها لم تكن قصة بالمعنى الصحيح بقدر ما كانت تسجيلاً تعقبياً لما تميزت به البطلة من ضعف طبيعى جر على حياتها أسوأ العواقب . على أنى أعتقد بأن استعراض شخصياتها لم يكن رديئاً . وكما أسلفت ، أرى أن ضعف هذه القصة ينحصر فى طريقة بنائها ، وفى انعدام العقدة الفنية فيها ، بحيث أنها كان من الجائز أن تختتم فى منتصف فصولها ، دون الاستطراد إلى مئات من الصفحات الأخرى .

ولكن . . . بعد أن تم كل شيء أحسست بشعور دافق من الارتياح يغمرني . ولست أنسى أبداً تلك اللحظة السعيدة التى تسلمت فيها النسخ الخمس الأولى من قصتى هدية من الناشر . . . ! !

المترجم
احمد فتحى

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنـــــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سـيرة هذا العصامى العظيم ... ...

— ٣٦ —

وتعجب ما كليلان وتعجب الناس معه من هذا المحامى الذى يدلى برأى في الخطط الحربية كأنه من أصحاب الحرب وممن لهم بفنونها خبرة ؛ وما عرف عنه أنه شهد حرباً من قبل ، اللهم خلا تلك المعركة الضئيلة التى اشترك فيها وهو فى صدر شبابه متطوعاً ضد الصقر الأسود ...

ولكن الذين يؤمنون بسر العبقرية لم يروا فى الأمر عجباً ؛ وكذلك كان الذين تربطهم بالرئيس صلة من كثب ، والذين رأوا رجاحة عقله وسلامة منطقه وقوة لقانته . ومن ذا الذى يقول إن الكتب هى التى أوحت إلى نوابغ العالم فى شتى مناحى الحياة ما أتوا به من المعجزات ... ؟ إنما يسير هؤلاء على نهج من فطرتهم وعلى هدى من نور عبقريتهم ...

وهل التوت الأمور على ذلك الرجل فى السياسة ولم تكن له بأسبابها من قبل صلة ؟ أو لم يحمل الذين أشفقوا أول الأمر من رياسته على محبته ثم على الاعجاب به ؟ وإذا كان هذا هو شأنه فى السياسة ولم يتعلمها فلم لا يكون كذلك فى أمور الحرب وهو قد استعان بالمعلمين الاخصائيين فى تعرف مداخلها بادئ الرأى ؟

أخذت الأزمة تشتد فى الميادين ، وذلك بتوالى الهزائم على أهل الشمال إذ كان هؤلاء ينقصهم القادة القادرون ، ولولا أن كان لهم لنكولن فى كرسى الرياسة يومئذ لحاق بهم الفناء ؛ والذين يتتبعون أدوار الحرب يشهدون أن النصر فى النهاية كان مرده إلى شخص الرئيس فلقد كان وحده جيشا مغالبا ، وكان وهو رجل الأمة وحده أمة فى رجل ...

وكان القواد فى الميادين يبذلون ما فى وسعهم لا يألون جهدا للوصول إلى النصر ، ولقد كان لبعضهم خطوات موفقة فى هذا السبيل ونذكر من هؤلاء جرانت الذى سوف يعظم شأنه حتى يصبح رجل هذه الحرب

أما ماكيلان فقد ظل على حاله يدرب جنده ويطلب المزيد من الفرق ، والرئيس صابر على ذلك لا ينفد صبره وإن أوشك أن ينفد صبر الناس ، فلقد كانوا يستعجلونه الزحف على رتشمند عاصمة الجنوبيين

ومع أن الرئيس قد أمره بالزحف فى نهاية يناير عام ١٨٦٢ أى بعد نحو تسعة أشهر منذ بدأت الحرب ، فانه لبث مكانه حتى شهر مارس ثم أخذ يتحرك ولكن فى بطء وحذر مما دعا الرئيس أن يطلب إلى وزير الحربيـة أن يستحثه ولكن ما كان أعظم دهشتهما حينما كتب إليهما ذلك القائد يطلب المزيد من الرجال ، وحجته فى ذلك أن العدو متكاثر أمامه

وفى مثل هاتيك الظروف التى كانت تتطلب من الرئيس ما أشرنا إليه من جهد يأبى القدر إلا أن يصوب إليه سهماً يصمى مهجته ويوشك أن يذهب بلبه ويزعزع فؤاده ، فلقد غالت المنية أصغر بنيه وهو صبى فى العاشرة من عمره . ولقد كان وأخاه يزوران مستشفى من مستشفيات الحرب فسرت إليهما العدوى ، ولم يقو الصغير على المرض فذوى كما تذوى الزهرة ولدت مع الصبح ولم يكن لها إلا مثل عمر الندى ...

لقد ارتاع الرئيس ووهى جلده أمام تلك المصيبة ورأى الناس ذلك الطود الأشم يتمايل ويتخاذل من الوهن وهو لا يستطيع أن يخفى عن الناس جزعه ولوعته ؛ وإنه ليجهش بالبكاء كما يجهش الصبى وفى عينيه حزن وحسرة وفى وجهه صفرة كصفرة الموت.. علم من الممرضة أنها فقدت زوجها وولديها فسألها ذلك العملاق الذى يحمل عبء قومه كيف تحملت تلك المصائب ؟ فأجابته أنها تحملت ضربات الدهر ضربة ضربة وأنها تثق فى رحمة الله فمنه العزاء والسلوان ... وهنا يجيبها ذلك الرجل العظيم الشديد البأس أنه سيحاول أن يتعلم الصبر منها وأنه يثق أيضاً فى رحمة الله وأن الله سيهبه العزاء ثم يردف قائلا « أتمنى لو كان لى مثل إيمان الأطفال هذا الذى تتحدثين عنه » ... ويعبر عن مبلغ

حزنه بقوله « إنها أعظم محنة لاقيتها في حياتي . . لم كان هذا ؟ لم كان هذا ؟ » .

ولقد كان الرئيس لنكولن في محنة قومه ثبت الجنان حتى لتزعزع الجبال ولا يتزعزع ، ولكنه كان مع ذلك رؤوفا عطوفا يكره الحرب ويتألم منها أكثر مما يتألم الناس جميعاً ، ويتمنى أكثر مما يتمنى غيره أن تضع أوزارها في أقرب وقت ... ولذلك كان ينكر على المتشددين تشددهم ، ولا يقر أحداً على قسوة أو يطاوعه في صرامة ، فاذا أنس الرئيس من محدثه غلظة على العدو تجهم له وأشاح عنه ، في حين أنه كان يقبل على من يطلب إليه اللين والمغفرة وهو يقول له وللناس جميعاً أنه يمقت تلك الحرب من أعماق قلبه وإنه ما دخلها إلا وهو موقن أنها شر لابد منه ، وما أراد بها إلا أن تكون علاجاً لمعضلة باتت تهدد كيان بلاده ... أما أن تكون انتقاماً وعلواً في الأرض واستكباراً فليس هو من ذلك في شيء ...

وكثيراً ما كان يصدر من الأمر ما يتعجب منه القواد ولا يشايعونه الرأي فيه وإن نفذوا ما أمر به . ساقوا إليه في تلك الأيام شاباً حكم عليه أن يرمى بالرصاص لوجوده نائماً في الخطوط وكانت عليه الحراسة ؛ فسأله الرئيس عن سبب نومه فعلم أن ذلك كان بسبب الاجهاد فانه كان متعباً من قبل وأخذ الحراسة بدل زميل له مريض . وهنا صرفه الرئيس ولم يرض أن يكون جزاء اجتهاده وصروته الاعدام ... وما قيمة قوانين الحرب عنده ؟ إنما هو يستمد قوانينه من قواعد الانسانية ، ولذلك تراه يصيح بالقواد « إني لا جلد لي أن أفكر أنني ألقى الله ودماء هذا الشاب المسكين على يدي » ...

* * *

أجاب الرئيس ماكليلان إلى ما طلب وأمده بالرجال لكيلا يكون للقائد حجة عليه ، فلقد كان يشيع في الناس من أول الأمر أن عدم تحرك القائد إنما يرجع إلى أن الحكومة تضن عليه بالمال والرجال . . . ولقد كتب إليه الرئيس خطاباً كان مما جاء فيه « أحسب أن القوات التي سيرت إليك قد بلغتك ؛ وإذا كان الأمر كذلك فإنك الآن في الوقت الذي ينبغي أن تضرب فيه ضربة . . إن العدو بتأخرك يكسب نسبياً »

ولم يسع القائد إلا أن يصرح في رسالة له أنه واثق بعد من النتيجة وأنه أخذ في الزحف ، ولكنه في الوقت نفسه أخذ يشكو من المطر المطال ومن الطرق الوعرة، فكان هذا هو جهد ما فعل ... وأخيراً لم ير الرئيس بداً من أن يبرق إليه في الخامس والعشرين من مايو يقول : « أظن أنه قد أزف الوقت لكي تهاجم رتشمند أو تدع هذا العمل جانباً وتأتي للدفاع عن وشنجطون »

فكأنما أراد ماكيلان في ذلك الوقت أن يكيد للرئيس ، أو كأنما أراد أن يحاق مشاكل جديدة يتخذ منها ذريعة لهذا الجمود فلقد كتب إليه ينتقد الموقف الحربي كله في جميع الميادين ولم يقتصر على شؤون الحرب ، بل راح ينتقد الحكومة في جميع شؤونها !

وتقدم القائد بعد ذلك نحو رتشمند تقدما بطيئاً ، فأدى ذلك إلى أن أرسل الثوار المدد إلى جيشهم الذي كان في طريقه لتهديد وشنجطون، وهنا لا يتردد ماكيلان في أن يرسل إلى وزير الحربية قائلا إنه يزمع أن يتراجع . ومما جاء في رسالته قوله : « إذا أنا نجيت هذا الجيش فأني أقول لك في بساطة إني في ذلك لن أدين لك بشكر ، لا ولا لأي شخص في وشنجطون ، فلقد بذلتم قصارى جهدكم لتحطيم هذا الجيش »

وكان القائد لي في ذلك الوقت يزحف على وشنجطون ، وكان على حمايتها بوب أحد قواد الشمال ومعه ثمانية وثلاثون ألفا من الرجال ولكن جيش لي كان أكثر عددا وأشد بأسا ؛ وتبين أن خير وسيلة لرد لي عن وجهته أن يبادر ماكيلان بالزحف على رتشمند لا أن يتراجع ويتباطأ كما فعل

ولما يئس الرئيس منه في هذا السبيل أرسل إليه يدعوه لحماية العاصمة ، ولكنه أبى أن يطيع حتى هذا الأمر وكتب يقول إنه سيجيبه إلى ذلك « إذا رأى الظروف تسمح به » وكان ذلك في شهر أغسطس ، ولقد عاد الرئيس فكتب إليه يطلب إليه القدوم بكل ما في وسعه من سرعة وأبرق إليه القائد هاليك يستحثه ولكنه لم يأبه بذلك كله ولم يصل إلا بعد شهر من هذه الدعوة ...

وكان أمرا طبيعيا أن تنزل الهزيمة بالقائد بوب وأن تبيت وشنجطون معرضة للسقوط ؛ ولقد عاود الذعر هذه المدينة على

نحو ما حدث غداة الهزيمة في معركة بول رن ، بل لقد كان الموقف يومئذ أشد هولا ؛ إذ اختلفت وجهات النظر في مجلس الوزراء واحتدم الجدل في المجلس التشريعي ، وارتفعت الأصوات بطلب عقد الصلح مع الجنوبيين، الأمر الذي خيف منه أن يؤدي إلى انحلال العزائم ... ولكن لنكولن وحده بقي على عزمه وثباته يعالج الموقف بالصبر والحزم ويهيب بالرجال ألا يتخاذلوا وينكصوا على أعقابهم ...

ولقد كان للناس من هذا الصبر والثبات مثل ما يكون من النصر في معركة ، وبذلك تضاءل فزعهم وعادت إليهم الثقة ووقفوا إلى جانب رجلهم

ثم إن الرئيس ضم عدداً من الجيوش بعضها إلى بعض وجمل منها جيشاً جديداً وضمه تحت قيادة ما كيلان ، وطلب إليه أن يقابل لي بهذا العدد الهائل الذي بلغ مائتي ألف، فلم يفعل ما كيلان كما طلب الرئيس فأصاب أهل الشمال هزيمة أخرى في شهر سبتمبر

وأخيراً التحم جيش ما كيلان وجيش لي في معركة عنيفة هي معركة انتيتام ، فلم ترجح كفة أحدهما ، ولكن لي اضطر أن أن يوقف الزحف ، بل اضطر أن يعبر نهر بوتوماك الذي كان على أبواب العاصمة ، متراجعاً بذلك عنها ، فكان على ما كيلان ألا يضيع هذه الفرصة فيتعقب الجيش المتراجع ويعركه في تراجعه ويوقع به هزيمة تفت في عضده ، ولكنه قعد دون ذلك على رغم إلحاح الرئيس عليه أن يفعل ، وراح يطلب المدد من جديد . . . وأصدر الرئيس إليه أمراً أن يسير في أثر الجيش المتراجع ولكن دون جدوى

ولقد بلغ من استهتار العدو بقوة الشماليين أن عبر أحد القواد الجنوبيين النهر بجنده وسار حتى اقترب من وشنجطون وألحق بأهل الشمال هزيمة منكرة ، وأحاط بجيش ما كيلان ، ولولا قلة عدد جنوده لأدى هجومه إلى كارثة ليس بعدها كارثة

على أن ما كيلان قد أساء إلى نفسه قبل كل شيء ، فلقد فقد منزلته عند الناس ، وبعد أن كان اللوم يوجه أول الأمر إلى الرئيس وحكومته أصبح يوجه إلى هذا القائد الذي أضاع كثيراً من الفرص بجموده ... وراح الناس يتهمونه بأنه يفعل ذلك لغرض في نفسه، وهكذا أخذ يتضاءل شأنه حتى هان أمره على الناس وتأبى الرئيس أن يعزله ليبحث عن قائد غيره ...

وربما أُخِذَ على الرئيس طول صبره على ما كيلان ومصانعته زمناً على الرغم من تطاوله في غير مبرر ؛ وبذلك يكون الرئيس هو الملوم في ضياع الفرص أو يكون على الأقل شريكا لما كيلان فيما هو خليق به من اللوم ؛ ولكن الرئيس لم يكن غراً، فهو يعلم أن كثيراً من جنود ما كيلان مفتونون به ، يخلعون عليه من صفات العبقرية ومن معاني البطولة ما لا يتهيأ لقائد غيره . وكذلك كان لما كيلان أول الأمر في قلوب الناس من غير الجند مكانة عظيمة ، وإذاً فلم يكن من الحكمة في شيء أن يقف الرئيس منه موقف البغض والنفور فيؤدي موقفه هذا إلى فتنة في وقت أن كانت البلاد أحوج ما تكون إلى الاتحاد ولم الشمل

على أن لنكولن كان بمصانعته ما كيلان على هذا النحو يظهره على حقيقته ويكشف للناس عن مواطن ضعفه ، بينما كان هو يبهرهم بقوة صبره ، تلك الخلة التي كان لها أعظم الأثر في إنقاذ البلاد من الخطر في تلك الأيام العصيبة ، وأي صبر هو أعظم من هذا الصبر في زمن توالت فيه على الرئيس الهموم والشدائد ؟

لقد كان ابراهام يتلقى الأنباء عن عدد القتلى والجرحى وهو أكثر الناس إشفاقاً وجزعاً ، ولقد كان يسأل عن العدد من الفريقين المتحاربين لا من فريقه فحسب فيحزن لهؤلاء جميعاً ، كأبناء أمة واحدة

ولقد كان الرئيس يذرف الدمع على ما يصيب رجاله في تلك الحرب الهائلة . ذهب ذات مرة إلى مقر أحد الجيوش فعلم بموت صديق له كان من جلسائه في سبرنجفيلد ، فأسرع إلى العودة مضطرباً يداه على صدره كأنما يمسكه أن يتصدع، وعيناه تفيضان، وعلى وجهه شحوب وكدرة ، وإنه ليسير بين الجنود لا يلتفت إلى تحياتهم فلا يردها من شدة الغم وتكاد لا تقوى على حمله رجلاه ..

وفي تلك الأيام كان لا يفتأ يقرأ شكسبير، ففي مآسيه صدى لنفسه الحزينة . على أن عينيه تغمان ذات مرة على تساؤل أم ولهى تقول : « لقد سمعتك أيها الأب الكاردينال تقول إننا سنرى ونعرف أصدقاءنا في السماء . ولئن كان هذا حقاً فلسوف

الكميت بن زيد

شاعر العصر المرواني

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

هاشمياته :

تكاد الهاشميات أن تكون كل ما بقي من شعر الكميت. وقد كان للكميت شعر كثير بلغ إلى موته خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً، ولا أدري كيف ضاع هذا القدر الكثير من شعر الكميت، ولعل شهرة الهاشميات هي التي غطت على غيرها من شعره، فشغل الناس بها عنه.

ومن هاشمياته لاميته التي تبلغ تسعة وثمانين بيتاً، وقد ابتدأها بقوله:

ألا هل عَمٍ في رأيه متأملُ
وهل مُدْبِرٌ بعد الاساءة مُقْبِلُ

فلفت به أهل عصره من الهزل إلى الجد، وأرسلها صرخة قوية في آذان أولئك الغافلين، ليصحو من غفلتهم، ويتنبهوا إلى الخطر المحدق بهم، وهو في هذا ينسى شخصه ونفسه، ولا يفكر إلا في مصلحة أمته، ولا شك أن من ينظر إلى هذا المطلع وخطره يدرك الفرق الشاسع بينه وبين المطالع العابثة التي اعتاد شعراء العربية أن يفتتحوا بها قصائدهم.

وقد مضى بعد هذا يضرب في هذه اللامية على هذا الوتر فقال:

وهل أمة مستيقظون لرشدهم ... فيكشف عنه النعسةَ المتزملُ
فقد طال هذا النومُ واستخرج الكرى
مساويهم لو كان ذا الميلُ يعدل
وعطلت الأحكام حتى كأننا ... على ملة غير التي نتنحل
كلام النبيين الهداة كلامنا ... وأفعال أهل الجاهلية نفعل

إلى أن قال:

فتلك أمور الناس أضحت كأنها
أمورُ مُضيعٍ آثر النومَ بُهَّلِ

ثم أخذ يوجه صرخته إلى خاصة الأمة وساستها، بعد أن صرخ بذلك في دهمائها وعامتها، فقال:

فياساسة هاتوا لنا من حديثكم ... ففيكم لعمري ذو أفانين مِقول
أأهل كتاب نحن فيه وأنتم ... على الحق نقضي بالكتاب ونعدل
فكيف ومن أنى وإذ نحن خلفة ... فريقان شتى تسمنون ونهزل
بُرينا كبرى القدح أوهن متنه ... من القوم لا شارٍ ولا متنبل

إلى أن قال:

فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم
فحتام حتام العناء المطول
رضوا بفعال السوء عن أمر دينهم
فقد أيتموا طوراً عداء وأثكلوا
كما رضيتْ بخلا وسوء ولاية ... لكلبتها في أول الدهر حومل
نباحا إذ ما الليل أظلم دونها ... وضرباً وتجويعاً خبال مُخبَّل
وما ضرب الأمثال في الجور قبلنا
لأجورَ من حكامنا المتمثل
تحلُّ دماء المسلمين لديهمُ ... ويحرم طلع النخلة المتهدّل
وليس لنا في الفيء حظ لديهمُ ... وليس لنا في رحلة الناس أرحل
فيارب هل إلا بك النصر يُرتجى ... ويارب هل إلا عليك المُعَوَّل

ثم انتقل إلى تذكير الناس بمقتل الحسين رضي الله عنه، فقص من أمر هذه الحادثة الأليمة ما يثير الشجن في النفوس، ويملؤها غيظا وسخطا على هؤلاء الملوك، وفي هذا يقول:

ومن عجب لم أقضه أن خيلهم ... لأجوافها تحت العجاجة أزمل
هماهمُ بالمستلئمين عوابس ... كحدآن يوم الدجن تعلو وتسفل
يحلّئن عن ماء الفرات وظله ... حُسيناً ولم يُشهر عليهن مُنصل

أرى ابني ثانية » . فانظر إلى الرجل يضع الكتاب ويكب بوجهه على كفيه فيملأهما من روافد دمعه ...

ذلك هو الرجل الذي كان يقوم على شؤون هاتيك الحرب. فلله ما أقسى الأيام ! إن فؤاده ليكتوي بنارها كلها؛ وإنه ليحس كل ضربة أو طعنة تصيب كل رجل غيره من الرجال، ولكن عليه أن يحمل الأهوال، وإلا فمن يحملها كما يحمل من الأبطال ؟

« يتبع » الخفيف

كأن حسيناً والبهاليل حوله ... لأسيافهم ما يختلى المتبقل
فلم أر مخذولا أجل مصيبة ... وأوجب منه نصرة حين يخذل
يصيب به الرامون عن قوس غيرهم
فيا آخراً أسدى له الغي أول

إلى أن قال :

فإن يجمع الله القلوب ونلقهم ... لنا عارض من غير مزن مكلل
على الجرد من آل الوجيه ولاحق ... تذكرنا أوتارنا حين تصهل
نكيل لهم بالصاع من ذاك أصوعاً ... ويأتيهم بالسجل من ذاك أسجل

ثم انتقل إلى مقصوده من الدعوة إلى بني هاشم بعد أن ألهب النفوس بذلك وحركها للثورة فقال :

ألا يفزع الأقوام مما أظلهم ... ولما تجئهم ذات ودقين ضئبل
إلى مفزع لن ينجى الناس من عمى
ولا فتنة إلا إليه التحول
إلى الهاشميين البهاليل إنهم ... لخائفنا الراجي ملاذ وموئل

إلى أن قال :

فيارب عجل ما يؤمل فيهم ... ليدفأ مقرور ويشبع مرمل
وينفذ في راض مقر بحكمه ... وفي ساخط منا الكتاب المعطل
فإنهم للناس فيما ينوبهم ... غيوث حيا ينفي به المحل ممحل
وإنهم للناس فيما ينوبهم ... مصابيح تهدى من ضلال ومنزل
لأهل العمى فيهم شفاء من العمى ... مع النصح لو أن النصيحة تقبل

ثم أخذ يشرح موقفه من هذه الدعوة الهاشمية ، ويلائم بين حاله في هذه الدعوة الحارة في شعره ، وحاله في إحجامه عما يبذله غيره من نفسه في سبيل تأييدها ، ويبين أنه إنما ينتظر بذلك الثورة الكبرى التي تقضى على دولة بنى مروان ، فلا يبخل وقتها بشيء من نفسه وماله ، ولا يرضى بذلك الاحجام الذي يلجأ إليه ، فقال :

لهم من هواى الصفو ماعشت خالصاً
ومن شعرى المخزون والمتنخل
فلا رغبتى فيهم تغيض لرهبة ... ولا عقدتى من حبهم تتحلل
وإنى على حبيهم وتطلعى ... إلى نصرهم أمشى الضراء وأختل
تجود لهم نفسى بما دون وثبة ... تظل بها الغربان حولى تحجل
ولكننى من علة برضاهم ... مقامى حتى الآن بالنفس أبخل
إذا سمت نفسي نصرهم وتطلعت ... إلى بعض ما فيه الزعاف المثمل
أتتنى بتعليل ومنتنى المنى ... وقد يقبل الأمنية المتعلل
وقالت فعد أنت نفسك صابراً ... كما صبروا أى القضاءين يعجل
أموتاً على حق كمن مات منهم ... أبو جعفر دون الذى كنت تأمل
أم الغاية القصوى التي إن بلغتها ... فأنت إذن ما أنت والصبر أجمل
فإن كان هذا كائناً فهو عندنا ... وإنى من غير اكتفاء لأوجل
ولكن لى فى آل أحمد أسوة
وما قد مضى فى سالف الدهر أطول
على أننى فيما يريد عدوهم ... من العرض الأدنى أسم وأسمل
وإن أبلغ القصوى أخض غمراتها
إذا كره الموت اليراع الهلل

ثم قال فى ختامها :

فدونكموها يا آل أحمد إنها ... مقلدة لم يأل فيها المقلل
مهذبة غراء فى غب قولها ... غداة غد تفسير ما قال مجمل
أتتكم على هول الجنان ولم تطع ... لنا ناهياً ممن يئن ويرحل
وما ضرها أن كان فى الترب ثاوياً
زهير وأودى ذو القروح وجرول

عبد المتعال الصعيدى

فردريك نيتشـــــه

للاستاذ فليكس فارس

(تتمـــة)

وفى اعتقادنا أن نيتشه قد فاق كل كاتب فى تصويره واجب الانسان نحو الحياة، الدنيا لأن العلماء الماديين من جهة اعتبروا الحياة زائلة فما اهتموا لرقي الإنسان الأدبى فيها قدر اهتمامهم باطالة حياته وإيلائه التنعم الأوفر بالجهد الأقل، ولأن المفكرين المؤمنين، من جهة أخرى، ما كان بوسعهم أن يفكروا للأرض ويحصروا كل جهد فيها كأنها دار قرار لأن العمل للأرض ليس إيمانهم كله بل هو نصف إيمانهم، أما نيتشه فبعد أن أقفل على تفكيره وخياله كل نافذة يمكن للروح أن تتطلع منها إلى السماء، وبعد أن تاقت نفسه إلى الخلود فاستنزله كمنى لهذه الأرض كما يقول جاعلاً هذا التراب وطن الانسان الدائم، لم يسعه إلا توجيه كل قواه لتصور إنسانية تتمتع بكل ما يمكن اعتصاره من الدنيا وتبلغ عليها من الرقى مرتبة الألوهية

***

تلك حقائق لم تفت ثلاثة من أعلام الشرق العربى أهابوا بنا إلى ترجمة زرادشت ونشره فى هذه البلاد لتسديد عزم الشبيبة فى هذه المرحلة التى يتوقف على نهضتنا فيها مستقبلنا واستعادة أمجاد تاريخنا . أولئك الثلاثة هم المغفور له السيد مصطفى صادق الرافعى فقيد الشرق والعروبة والاسلام، والأستاذ حافظ عامر بك قنصل مصر العام فى الآستانة مؤلف رسالة الحج التى كان لها دوى فى أوساط المفكرين، والأستاذ احمد حسن الزيات القابض على آداب الغرب باطلاعه وتفكيره والرافع علم الآداب الشرقية بقلمه، وقد تفضل الأستاذ المشار إليه فنشر فى مجلته الرسالة أكثر من ربع الكتاب فى مدى سنة، ولولا تقديرنا أن الزمان سيطول على نشره برمته لما كنا بادرنا إلى طبعه كاملا مستقلا

إن ما دعانا وأصحابنا المشار إليهم إلى تقرير ترجمة زرادشت هو أننا نظرنا إلى فلسفته من الوجهة الملامسة للمبادىء الدينية الاجتماعية التى نتجه إلى أحياء حضارتنا القديمة على أساسها، وقد رأينا أن هذا المؤلف الفريد فى نوعه ليس من الكتب التى تنقل إلى بياننا لما لها من قيمة فلسفية وأدبية فحسب، بل هو من الكتب التى يجدر بالناشئة العربية درسها كما يدرسها طلاب الجامعات فى كل قطر أوربى، فان كتاب زرادشت قد أثر التأثير الأكبر فى تطور الحركة الفكرية فى أواخر القرن التاسع عشر فى عالم الغرب، واشتمل من المبادىء على ما كان ولا يزال محور الخلاف المستحكم بين ذهنيته وذهنية الشرق العربى بوجه خاص . ولقد مضى على ظهور هذا الكتاب زهاء نصف قرن ولم يكن العالم العربى فى ذلك العهد على اتصال وثيق بالحركة الفكرية الغربية، فلم يسمع فى هذه البلاد بنيتشه وفلسفته إلا بمقالات موجزة، وكل ما عرف عنه هو أنه يدعو إلى التحرر من ربقة الأوهام واطراح الزهد واليأس والاتجاه إلى إيجاد الانسان المتفوق .

ولعل المفكرين يسلمون معنا بأن خلو المكتبة العربية من هذا المؤلف الفريد الذى ترجم إلى جميع اللغات الحية فاتخذ أعوذجاً بين أبنائها للصراحة والاخلاص فى طلب الحقيقة يعد نقصاً فى هذه المكتبة ويسجل قصوراً علينا، لذلك اقتحمنا إعارة بياننا لكتاب زرادشت الذى قالت فيه الموسوعة الكبرى إنه لا يعد أروع ما كتب نيتشه فحسب، بل أروع ما كتب فى اللغة الألمانية على الاطلاق .

ولا بد فى ختام تمهيدنا من لفت المفكرين إلى فصل من كتاب زرادشت عنوانه « بين غادتين فى الصحراء » وفيه نشيد لخيال زارا « صفحة ٢٥٤ » فاننا وقفنا عنده ملياً لأنه من نوع البيان المستغرق فى الرمزية فلا يفهمه القارىء إلا بحسه الكامن وقد لايتفق اثنان على تأويله تأويلا واضحاً جلياً .

ولو أننا ترجمناه بالحرف لجاء كأحد الرسوم التى ابتدعها أنصار التكعيب يقف المشاهد أمامها فلا يدري أجبلا يرى أم شجرة أم إنساناً .

لذلك اضطررنا إلى ملء بعض الفراغ بين الخطوط، وإلى الالتجاء لكسر النتوءات عند نقل بعض المكعبات المبهمة الصارمة، فجاء هذا النشيد أقرب إلى البيان المألوف دون أن يخرج عن أصله الرمزي الذى يحتاج إلى كثير من الاستغراق فى تفهم معانيه وخفنا أن نكون تجاوزنا حد الخطوط الأصلية فى النقل

فرجعنا إلى عالم معروف من علماء الغرب ممن أحاطوا بفلسفة نيتشه وذهبوا إلى حد بعيد فى تحليلها وهو حضرة الدكتور روبرت ربنتجر الأستاذ فى جامعة فينا نعرض عليه ما رأيناه فى رموز نشيد الصحراء، ونسأله إقرارنا على ما أصبنا فيه وتصحيح ما قد نكون ضللنا فى تبيانه ، فوردنا جوابه مؤرخاً فى ١٩ أبريل من هذه السنة وفيه يقول :

« إننى أرى خلاصة معنى النشيد فى فقرته الأولى المكررة فى آخره وهى : إن الصحراء تتسع وتمتد ، فويل لمن يطمح إلى الاستيلاء على الصحراء » فان نيتشه قد رمز بالصحراء إلى الوجود القاحل الذى لا غاية له ، وقد أتيت على بحث هذا الرمز فى كتابى « جهاد نيتشه من أجل معنى الحياة وغايتها »

«أما سائر ما فى النشيد فأراه يرمى إلى وصف أجواء الصحراء المتمتعة بالحرية وهى بابتعادها عن المعمور تولى أبناءها الحياة الساذجة الطاهرة على نقيض ما تورثه ثقافة أوربا الشمالية من الخشونة والكثافة

أما كلمة « صلاة » فقد أصبتم فى ترجمتكم إياها « حىّ على الصلاة »

« هذا وقد يكون النبى محمد هو المرموز إليه بأسد الصحراء ونذيرها على حسب تأويلكم »

لقد سرنا وأيم الله أن يوافقنا هذا العالم على تأويلنا وإن يكن ذهب فى تفسير اتساع الصحراء وامتدادها إلى غير ما ذهبنا إليه ، فقد كنا صارحناه بأن ما فهمناه من اتساع الصحراء وامتدادها وتهديد من يطمح للاستيلاء عليها إنما هو انبعاث الايمان الحق بالفضائل العليا وتمردها على الجحود والتضعضع فى الحياة

وقد كان دليلنا على صحة مذهبنا ما ورد فى النشيد من صراحة تؤيدنا خاصة فى الفقرة الأخيرة وهى :

« ارتفع يا مظهر الجلال ، ولتهب مرة أخرى نسمة الفضيلة

« ويا ليت أسد الفضائل يزأر أيضاً أمام غادات الصحراء ، فانه أقوى ما ينبه أوروبا ويحفزها إلى النهوض

« وها أنذا ابن أوربا لا يسعنى إلا الخشوع لدوى هذه الآيات البينات »

للعالم الأوربى تأويله ولنا تأويلنا ، وللصحراء فى بلاد العرب رموزها فلندع للأزمان تأويلها ولنكرر ما جاء فى نشيد الجاحد الطامح إلى الخلود

« إن الصحراء تتسع وتمتد ، فويل لمن يطمح إلى الاستيلاء على الصحراء »

إن عبير الشرق لا يضوع من نشيد الصحراء فحسب — بل هو يفوح من كل حكمة ينطق بها زرادشت أمام مشاهد التضعضع الأوربى ، ولسوف يقف رجال العلم من أبناء الضاد عند كثير من أقواله فيعرفون فيها آية من الآيات التى أوحيت لأنبيائهم أو ألهمت لحكمائهم أو حديثاً لذلك الأمى الأعظم الذى تناول أدق القضايا الاجتماعية فردها إلى مكارم الأخلاق ليحلها جميعاً

إننا ونحن نخط هـذه الأسطر نتذكر صديقنا فقيد الشرق المغفور له السيد مصطفى صادق الرافعى الذى قل من جاراه فى تفهم دين الله والشعور بالقومية العربية ووحدة الانسانية . إننا لنذكره ونحس بما كان يمكننا أن نستمده من ثقافته العريقة ومعارفه الواسعة من آيات وأحاديث وحكم يتجلى فيها ما أجمع مفكرو الغرب على الخشوع أمامه من نظرات زرادشت الصائبات فى اتجاهات العالم المتمدن وفى طلب رقى الانسان والاهابة به إلى العمل فى الأرض كأنه خالد عليها لا يموت

غير أننا إذا كنا حرمنا الآن من هـذه النجدة فى كتابة تمهيدنا هذا فلن تحرم البلاد أعلاماً يقومون بهذا الواجب نحو مهبط وحى الله ومنبت العباقرة من السلف والمعاصرين

فليكس فارس

من أصداء البحر

بين عشية وضحاها

للأستاذ إبراهيم العريض



— ١ —

على شاطئ البحر – في قرية   تلوح بعزلتها الدائمه
كأن الدجى لفها بالسكون   فما برحت دهرها نائمه
تطل عليها عروس النهار   فتلبث في جوها حالمه
وللبدر في أفقها قبلة   تطول ... ولكنها ناعمه
بناء يذكر سكانها   بشامخ أبنية العاصمه
يقيم به نائب – أمره   مطاع – وسطوته غاشمه
فلو أيقظ البحر أمواجه   لمرت بأعتابه لائمه
كذلك كان شعور السواد   من الذل نحو اليد الحاكمه
وأكواخهم وسط هذا الإطار   تموج بألوانها القاتمه

***

وتفتح نافذة القصر خود   مساء وتمعن إمعانها
فيحلو لها أن ترى الشمس تسجـ   ـد سجدة شكر لمن زانها
وهبها توارت وراء الغيوم   فهل تنكر الأرض إحسانها
ويعرض مرآته البحر حتى   تجمل – سافرة – شانها
وأمواجه في هدوء أمام الـ   ـنعيم تلملم أردانها
فلا هو يتركها تستقر   ولا هي تهجر شطآنها
وتبصر في قارب فتية   تمد إلى الصيد أشطانها
فيغمرها فرح بالحياة   فتعلن للقصر عصيانها
وتخرج نشوى على رمله   تردد كالطير ألحانها

***

وتركب في زورق كالهلال   يعوم بها نجمة زاهره
فتأخذ في جذفه باليدين   وفي صدرها موجة زاخره
ويلثم فاها نسيم الأصيل   فيندى بأنفاسها العاطره
إلى أن تغيب وراء السديم   بعيدا بأحلامها الطائره
ويدركها أول الليل عند   فنار يغض لها ناظره
فتشهد مركزها في الظلام   ومن حولها الأفق كالدائره
وتلمح من بعد قصرها   يدل بأنواره الباهره
فتثني أعنتها للرجوع   ... ولكنها ترتمي خائره
ويستيقظ البحر بعد الهجوع   ليملي إرادته القاهره

***

ويشرق إحساسها في الصباح   مليا على همسات البشر
فتملكها رعشة للذي   يمر على ذهنها من صور
وتذكر ما كان من حظها   ومن حظ زورقها المنكسر
وكيف تقوم بها موجة   وأخرى على جانبيها تمر
فتصرخ صرختها للحياة   وفي حلقها نفس يحتضر
فتمتد كف لإنقاذها   من الغيب ... ذلك ما تدكر
وتشعر بالدفء تحت اللحاف   فتعجب كيف احتوتها السرر
وتفتح ناظرها بعد لأي   على شبح قائم ينتظر
يناشدها وعلى ثغره   بنان تشير بأن تستقر

***

وتستغرق الخود في نومها   وتأخذ حظا من العافيه

ويفـترُّ فى شفتيها دمٌ　　كطلٍّ على وردةٍ زاكيه
وتحتَ يديها يزلُّ النصيفُ　　عن بُرعُمَىْ صدرِها ناحيه
ومِلْؤُهما عِزّةٌ بالجمالِ　　جمالِ أُنوثتِها الغافيه
فيَحنو عليها الفتى فى خُشوعٍ　　ويستُر أطرافَها العاريه
ويعزفُ لحنًا على عُودِهِ　　يُذَكِّرُ عهدَ الهوى ناسيه
وينبعثُ النغمُ العذبُ من　　تَمَلْمُلِ أوتارِهِ القاسيه
إلى أن تُفيقَ فتاةُ القُصور　　وتطرفَ أهدابُها ثانيه
فتبسُطُ راحتَها كالغريقِ　　وفى ثغرِها قُبلةٌ طافيه

ويسألُها عن عهود الصبا　　وأترابِها فى القُرى .. مَنْ هُمُ
فتُغضى حياءً ... وفى رقّةٍ　　تبوحُ له بالذى تكتُمُ
« يداكَ تجُودانِ لى بالحياةِ　　فشُكرًا على الجودِ يا مُنعِمُ !
وهبْتُكَ قلبى . خُذنى إليكَ　　ومُرنى أُطِعْكَ بما تحكُمُ »
وتلبثُ فى صمتِها بُرهةً　　ليفهمَ منها الذى يفهمُ
ولكنّهُ لا يُحيرُ الجوابَ　　كمَنْ رابَهُ أمرُها المُبهَمُ
فتنطقُ باسمِ أبيها لهُ　　وتبسم ... يا حُسنَ ما تبسم
فينفرُ منها نفُورَ الظليمِ　　وقد ثارَ فى مُقلتيهِ الدم
« أأنتِ ابنةُ النائبِ المُستبدّ　　وأهواكِ .. إنى إذنْ مُجرِمُ »

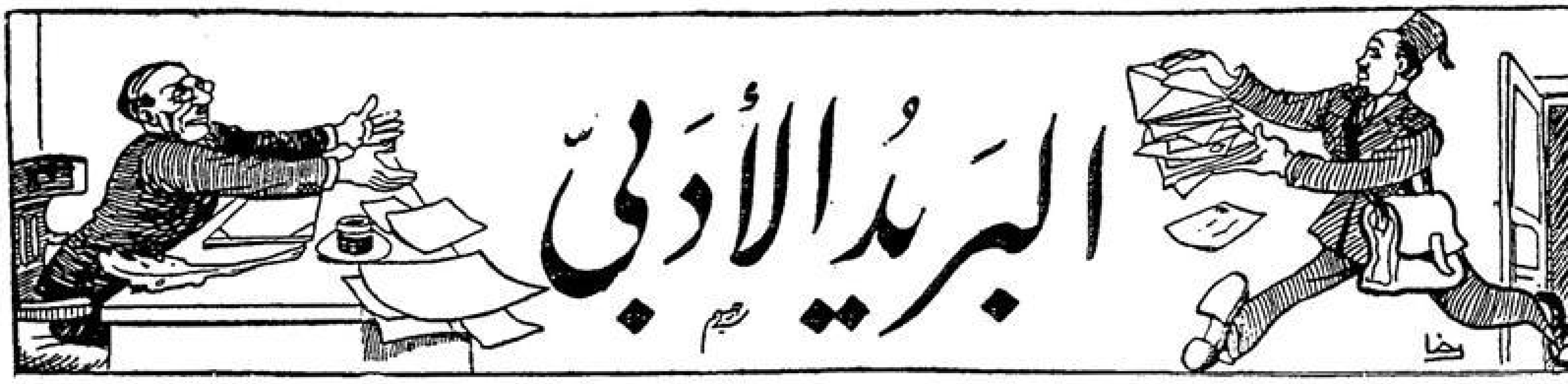
فترجعُ للقصرِ عندَ الأصيلِ　　طريدةَ آمالِها الخائبه
قضتْ يومَها حافلاً بالشعُورِ　　كأحفلِ أيامِها الذاهبه
فتشعُرُ مِثلَ شعُورِ الغريبِ　　وإن لم يطُلْ عهدُها غائبه
فتدنو إلى البحرِ ... حتى تَراهُ　　يُسَيِّرُ فى موجِهِ قاربه
فتنشِدُهُ حُبَّها لو يُصيخُ　　وتُذرى له دمعَها عاتبه
أيا حاسرًا زندَهُ للبحارِ　　تذوبُ له حسرة كاعبه
أسأتَ بىَ الظنَّ حتى خجلتُ　　ولم تكُ فى نيّتى شائبه
ضربتَ بحُبِّى عُرضَ الجدارِ　　وأنكرتَ من سُؤددى جانبه
وغاظكَ أنّى أبى ظالمٌ　　ألستَ بظلمِكَ لى صاحبه
وتخنقُها عَبرةٌ فى النعيـ　　ـمِ تُلهِبُ من لونِها شاحبه
ويمضى لطيّتِهِ ضاحكًا　　يُؤدّى - على بؤسِهِ - واجبه

— ٢ —

توالتْ على القصرِ عشرُونَ عامًا　　أسابيعُها مثلُ أعيادِها
تُوافى الفتاةَ عروسًا، فزوجًا،　　فأُمًّا، تحِنُّ لأولادِها
وأعلقُهُمْ بحشاها ابنةٌ　　فدتْها الأهالى بأكبادِها
تغنّى .. فتُصغى إليها الطيُورُ　　وتطرَبُ مِن حُسنِ إنشادِها
وتلمحُ صُورتَها فى المياهِ　　فتضحكُ من قولِ حُسّادِها
ولو أنّها نزلتْ فى الجنانِ　　لأزرتْ بأجملِ أورادِها
يخفُّ إليها نسيمُ الربيعِ　　يُذكّرُها يومَ ميلادِها
ووالدُها غائبٌ فى البلادِ　　يقومُ بتنظيمِ أجنادِها
فيكتبُ مُستملحًا لو تسيرُ　　إليهِ فيحظى بإسعادِها

وتصحبُها أمُّها للسلامِ　　على زوجِها .. وهيَ لا تبتسِمْ
فقد علّمتْها صُروفُ الزمانِ　　بأنَّ الطلاقةَ شىءٌ يُذَمّ
يذمُّ . ولابنتِها نظرةٌ　　تبشُّ إلى كلِّ وجهٍ - وفمْ
وتجرى بها الفُلكُ وسطَ البحارِ　　وأمواجُها دائمًا تلتطِم
فتُلقى بها تارةً كالدلاءِ　　وترفعُها تارةً كالعَلَمْ
إلى أنْ يلوحَ لها - حيثُ لاحَ　　قديمًا - فنارٌ يُنيرُ الظُلَمْ
فتذهلُ واجمةً ... كالذى　　يرى شبحًا فى ثناياهُ دمْ
وتذكرُ حُبًّا خلا فى الوجودِ　　لشخصٍ طوى صفحتيهِ العدمْ
فتبسمُ .. لكنْ فى نفسِها　　مرارةَ ذكرى تثيرُ الألمْ

على أنّ ذاكَ الفتى لم يمتْ　　فقدْ صارَ نابغةً فى الفنُون
تلقّى من الكونِ إلهامَهُ　　ومثّلَ آياتِهِ فى اللحون
فما هيَ إلا الضُحى فى امتدادٍ　　وما هيَ إلا الدجى فى سُكون
كأنّ على يدِهِ العودَ طفلٌ　　يبثُّ الورى شجوَهُ بالأنين
يرنُّ .. فتقطرُ منهُ القلوبُ　　وتأخذُ موضعَها فى العيون.
ويُصغى إليهِ المحبُّ الغيورُ　　ويُدرِكُ فى الحُبِّ سرَّ الجنون



العيد الألفي لمدينة القاهرة

قررت الحكومة الاحتفال بانقضاء ألف عام على تأسيس القاهرة كما ذكرنا من قبل، وننشر اليوم أن البيان الرسمي الذي بني عليه هذا القرار يتضمن أنه في العام القادم سينقضي ألف عام هجري على تأسيس مدينة القاهرة . وقد عزمت بعض الهيئات والمعاهد في أنحاء مختلفة على أن تحتفل بهذا الحادث التاريخي الذي يهم العالم الاسلامي أجمع . وقرر معهد المباحث الاسلامية بمدينة بومباي وهو من أهم المعاهد الاسلامية في الهند أن يشترك في الاحتفال بهذا الحادث ، وسيضع كتاباً يحتوي على وثائق خاصة بتاريخ القاهرة لم تنشر من قبل ، وهي مستقاة من مخطوطات عربية في حوزة المعهد المذكور، على أن تقدم نسخة من الكتاب مجلدة تجليداً فخماً إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق الأول

ولا حاجة إلى تبيان ما ينتظر أن يكون لمثل الاحتفال الذي نحن بصدده من الشأن في الشرق الاسلامي بوجه خاص . لذلك رأى مجلس الوزراء أن يقرر احتفال الحكومة الملكية بانقضاء ألف عام هجري على تأسيس القاهرة ، وأن يعهد إلى لجنة خاصة في اتخاذ الاجراءات اللازمة لوضع برنامج لذلك الاحتفال وجعله خليقاً بمصر في عهدها الجديد

بعثة الامام الشيخ محمد عبده

أصدر صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قراراً بتعيين الدكتور محمود البهي قرقر والدكتور محمد ماضي خريجي بعثة الشيخ محمد عبده ، مدرسين في كلية أصول الدين : أولهما لتدريس الفلسفة، وثانيهما لتدريس التاريخ الاسلامي، وهما حاصلان على درجة الدكتوراه في هذين العلمين من جامعة هامبرج في ألمانيا ، وقراء الرسالة يعرفون الأستاذين بأبحاثهما الجليلة في الأدب والاجتماع

وتنعطفُ الأمُّ نحوَ الرضيعِ وفي صدرِها جدولٌ من حَنين
ويحْلُمُ بالمجدِ طرفُ الجَبانِ وإنْ ذاقَ في المجدِ كأسَ المنون

لأنَّ المعانيَ من كلِّ لونٍ تفوزُ بجلوتِها في الرنينْ
ويُبصِرُها وهوَ في محْفِلٍ يُوقِّعُ أنغامَــهُ في الغزَلْ
وقدْ حوَّلَ الصمتُ تلكَ العيونَ شِـفاهاً تدُلُّ على ما تدُل
فيذكرُ زورَقَها في الظلامِ ومَشهدَها تحتَ نابِ الأجَل
فيَشعُرُ بالوخزِ ـ وخزِ الضميرِ ـ على قطعِهِ حبلَها المتَّصِل
فيُنشِدُ ... والعودُ بينَ يديْهِ يُرجِّعُ كالطفلِ ما يرتجِل:
« أمَا كنتَ حاضِرَنا يا هلالُ عشيَّةَ ضاقتْ عليْها السُّبُل
فألفيتُ نفسِيَ وَسْطَ الغِمارِ وأدركتُ فيها بقايا الأمَل

كأنِّي ـ وقد حضنَتْها يدايَ ـ أودُّ لها في ضُلوعي محَل
ولو نزلتْ في صَميمِ الفؤادِ لعزَّ على غُلَّتي أن تُبَلْ »
وتطرَبُ مِنْ لحنِهِ البنتُ حتَّى تُناشِـدَهُ أنْ يُعيدَ الغزَل
وتسألُ عن شأنِه مَنْ يكونُ فتجْـذِبُها أمُّها بالعجَل
وتهمِسُ في أذْنِها دُونَ أنْ يَرى الخَملُ ما مسَّها من خجَل:
« بُنيَّةَ ! هذا فتًى مِنْ قُراكِ تعرَّفَ بي في الصِبا المُرتحل
وخُيِّـلَ لي أنَّهُ مَيِّتٌ ولكِنَّ للهِ شَـأناً أجَل
أغرَّكِ مِنهُ النسيبُ الجميلُ على ثغرِهِ يُشتَهَى كالقُبَل
دَعيهِ . فعَهْدي بقلبٍ طَواهُ ـ على فنِّهِ ـ مُقفِراً كالطلَل »

« البحرين » ابراهيم العريض

مسألة شكسبير وبيكون

من أنباء لندن أن البحث في كنيسة وستمنستر مدفن العظماء عن قبر أدموند سبنسر الشاعر الانكليزي الذي كان معاصراً لشكسبير لم يجد شيئاً، وقد قام بهذا التفتيش جمعية فرنسيس بيكون وغرضها منه أن تبرهن على أن الاسمين هما لمسمى واحد ، وأن الذي اشتهر باسم شكسبير هو في الواقع فرنسيس بيكون لا غيره

وكان هذا الحفر بناء على وثيقة مؤرخة سنة ١٦٠٠ قيل فيها أن أدموند سبنسر دفن في الكنيسة وأن عدداً من معاصريه أبنوه بقصائد دفنت معه . وإن خط رثاء شكسبير لسبنسر يثبت أنه خط بيكون . وقد أخرجت بضعة توابيت يظن أن تابوت سبنسر أحدها ولكن أهل الشأن لم يسمحوا بفتحه إذ لم يثبت أنه لسبنسر ، وهو مصنوع من الرصاص

شريعة عربية

روى الأديب المهذب (ح ، ح) في بحثه (مصدر المنازعة) في (الرسالة) الغراء قول (تريتشكي) : « فلولا الحرب ما كانت الدولة ، وينبغي أن يجعل المرء شعاره على الدوام أن الحروب دواء الأمم المريضة » ومقالة (نظرية) الجرماني هذه هي شريعة العربية وقد شرحها الكلحبة العرني في بيته :

إذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت
حبال الهوينى بالفتى أن تقطعها

وفي معاني (الجهاد) ما يزيد هذا البيت إيضاحاً . وقد قال غربي : كان سلطان العرب ما قاتلوا ، فلما تركوا الحرب وادعوا ذهبت ريحهم (***)

أمة عربية تزول

أذاعت شركة الأنباء الايطالية « ستيفاني » في جميع أنحاء العالم هذه البرقية :

روما — تلقى الدوتشي من كبار الشخصيات العربية في ليبيا — كالأمير سليمان القرفيلي ، ومفتي ليبيا وقضاة طرابلس ودرنة وطبرق ، ورئيس المحكمة الشرعية — برقيات تعرب عن خالص شكرهم وشكر أهالي ليبيا العرب على ما منحت تلك البلاد من شرف اعتبارها جزءاً من إيطاليا ، وقد أضافت البرقيات أن عرب ليبيا لن ينسوا الخدمات التي أداها وما زال يؤديها الدوتشي لبلادهم وأنهم على استعداد للعمل معه مخلصين إلى النهاية في جميع الظروف

ومعنى هذه البرقية التي نشرت على العالم العربي فلم يحفل بها أحد ولم تعلق عليها صحيفة — أن السلطات الايطالية اللوبية أرغمت أولئك العرب المساكين على أن يسدوا الشكر (خالصاً) إلى حكومة روما على تلك المنحة العظيمة التي قدمتها إليهم ، وهي خمسة ملايين من الايطاليين سيغمرون ليبيا ويحولونها إلى منطقة إيطالية خالصة ، ثم لا يكون للعرب بعد أن توزع أملاكهم على المهاجرين المستعمرين ، إلا قفار الصحراء الجدبية يعيشون فيها على الضر والفقر دون أن يكون لهم في أمور البلاد السياسية والاقتصادية لسان ولا يد !

هذه فلسطين أخرى ولكن فلسطين تستطيع أن تقول وأن تعمل ؛ أما طرابلس فلا تقول ولا تعمل إلا ما يريده الحاكم بأمره

بس ...

قال الكاتب الكبير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني في مبحثه في (العامية والفصحى) في (الرسالة الغراء) : « وأما بس فلا مثيل لها ، ولا غناء عنها بغيرها في اللغة العربية » وهو قول حق كله ، واللفظة عربية كل العربية ، وإن كان الأصل من فارس . وقد ذكر بهاء الدين العاملي في (كشكوله) ، ونقل قوله الزبيدي في (تاجه) : « بس كلمة فارسية ، وليس للفرس في معناها سواها ، وللعرب حسب، وبجل، وقط — مخففة — وأمسك واكفف ، وناهيك ، ومه ، ومهلا ، واقطع ، واكتفِ »

أجل، إن في لغة (الجزيرة) كل ذلك لكن لم تظارف واحدة من أَلْيَّا الآنسات العشر — كما يري الأستاذ المازني — ظرف تلك الفارسية

ونطق باللفظة (اللسان) غير ذام ولا ناقد : « وبس بمعنى حسب فارسية » والفارسيات المتعربات أمر ياأستاذاً في العربية

وأخبرنا السيوطي في (المزهر) والخفاجي في (شفاء الغليل) أن (الخليل) أودعها (العين) غير منسوبة إلى فرس ولا عرب : « بس بمعنى حسب » ونابغتنا (الخليل بن احمد) تلاميذ تلاميذه ، كلامهم على الراس والعين

وروي (المزهر) عن كتاب (المشاكهة) لمحمد بن المعلى الأزدي : « تقول لحديث يستطال ؛ بس ، وعن أبي مالك :

البس القطع ، ولو قالوا المحدث : بسا كان جيدا بالنا بمعنى المصدر أى بس كلامك بسا ، أى اقطعه قطعا ، وأنشد :

يحدثنا عبيـــد ما لقينا فبسك ياعبيد من الكلام القارى

جورج هويتفيلد

مضى قرنان من الزمان على موت جورج هويتفيلد أعظم خطباء الأنجليز ووعاظهم فى القرن الثامن عشر . وقد هبت انجلترا وأمريكا تحتفل بذكرى الرجل العظيم الذى خطب عشرة ملايين منهم فعلمهم جميعاً الرحمة ومحبة الله والتفانى فى خدمة البشر والتجرد من زخرف الحياة وباطلها لتكون زخرفاً وجنة للجميع . وكثيرون منا لايعرفون هذا الرجل الذى شاد بخطبه وعظاته نصف ما فى أنجلترا وأمريكا من ملاجىء ومستشفيات ودور للخير . حقا إن شهرة هو تيفلد لم تبلغ فى العالم من الذيوع ما بلغته شهرة لوثر أو كلفن أوويسلى ، وهذا لأنه لم ينشىء مذهباً جديداً أو فلسفة جديدة ، لكنه فى الحقيقة كان أخطب منهم وأنفع للخير العام، لأن خطبه المتأثة بالحرارة والاخلاص لم تقد الناس إلى الحرب وإهراق الدماء والمذابح بل قادتهم إلى البر والمؤاخاة والعطف بينهم ، وإن من أظرف ما يروى من أخباره أن الرئيس فرنكلين كان يسمع عنه وكان لا يحبه ، فدعاه أحد أصدقائه مرة إلى اجتماع سيخطب فيه هو يتفيلد فذهب على كره منه . فلما سمع الشطر الأول من خطبته — وكان موضوع الخطبة الحث على جمع التبرعات لعمل خيرى — تحرك شىء من العطف فى قلب فرنكلين وعزم على التبرع بقليل من السنتات (السنت : مليمان) فلما بلغ الخطيب نصف خطبته ثار العطف فى قلب الرئيس أكثر فعزم على التبرع بدولارات، فلما فرغ هويتفلد هب فرنكلين فأفرغ فى صندوق التبرعات كل ما كان فى كيسه من السنتات والدولارات والجنيهات !

فهل من وعاظنا الأفاضل من يبلغ مبلغ جورج هويتفلد ؟

جورنج رجل ألمانيا الحديدى

ظهر هذا الكتاب بالانجليزية لمؤلفه هـ . و . ريان، وقد تناول فيه المؤلف حياة المارشال جورنج فأرخها تأريخا جيلا من يوم نشأته فى المدرسة القروية الحربية البروسية إلى عمله فى فرق الطيران الألمانى زمن الحرب ، إلى هجرته إلى السويد بعد هزيمة ألمانيا ، فزواجه هناك من زوجته كارين التى قاسمته شظف العيش وشدة الحيـاة ، التى وضعت فى حياته اللبنات الأولى للمجد والمستقبل الحافل . . . ومن أبرع فصول الكتاب تلك التى تتناول عهد الصداقة بين هتلر وجورنج . فقد عهد هتلر إلى صديقه تشكيل الحزب الوطنى الاشتراكى فقام بمهمته على أحسن الوجوه وشكل فرق القمصان البنية، وكان مبدؤه إعادة الثقة إلى الشعب الألمانى ثم بناء ألمانيا الجديدة . وقد حدث شغب فى ميونخ كاديؤدى إلى اعدام جورنج لولاأن صدرعفوشامل فأنقذت حياته وفى الحقيقة أنقذت حياة ألمانيا . ثم سلك سبيله إلى الريخستاج فصار أحد أعضائه البارزين . ولما صار هتلر مستشاراً عهد إلى صديقه بتنظيم الطيران فى ألمانيا وتدعيم اقتصادها فى وقت واحد فقام بالمهمتين أحسن قيام . وكون لألمانيا أسطولا جويا لم تشعر به فرنسا إلا لجأة فاذا هوضعف قواتها الجوية عدداً وأهبة واستعدادا، ولولا هذا الأسطول ما جرأت ألمانيا على احتلال الرين غير عابئة بقوات أعدائها الكثيرين. وجورنج مع ذاك رجل مثل عملية وهو صاحب الصيحة الآرية المدوية كما أنه هو الذى طهر ألمانيا من اليهود

سياسة الغد

كتاب جليل الموضوع مستقل الرأى مستقيم التفكير ، أخرجه الأستاذ (مريت بك بطرس غالى) كما تخرج الطبيعة ثمرتها فى إبانها : عالج فيه الأستاذ الخطط السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى يجب أن تسير عليها مصر فى عهدها الجديد علاجاً بارعاً نزيهاً صريحاً لم يتقيد فيه بمذهب خاص ولا حزب معين . والكتاب لجلالة موضوعه ومكانة مؤلفه يستحق أن نعود إلى الحديث عنه بالتفصيل فى العدد المقبل

ناد أدبى للطلبة المغاربة بمصر

اجتمع الطلبة المغاربة بمصر بحثـوا فى تأليف ناد ثقافى تعاونى وكونوا لجنة تحضيرية لوضع مشروع قانون أساسى له

وفى الساعة التاسعة من يوم الأربعاء ٢٦ أكتوبر تناقشوا فى مشروع القانون الذى قدمته اللجنة التحضيرية ثم وافقوا عليه ، وانتخبوا لجنة تنفيذية لتدير أعمال النادى وتحقق أغراضه الثقافية والتعاونية من الطلبة

محمد العربى العلمى سكرتير والمهدى بنونه مساعد له وعبد الكريم غلاب أمين الصندوق وأحمد بن المليح والعربى بناني ومحمد المستوى وعبد العزيز الوارثى أعضاء



هكذا تكلم زرادشت

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

إن نيتشه نفسه يوافقنا على هذا التفسير ، فهو يقول ص١٧ من الترجمة العربية :

« وهنالك فى الصحراء القاحلة (أعنى صحراء الحياة القاحلة) يتم التحول الثانى فينقلب العقل أسداً لأنه يطمح إلى نيل حريته وبسط سيادته على صحرائه ...!

وفى هذه الصحراء يفتش عن سيد ليناصبه العداء كما ناصب سيده السابق ، فهو يستعد لمكافحة التنين (الواجب) والتغلب عليه »

ولست أدرى كيف غفل صديقنا المترجم عن هذا مع أن قلمه جرى به فى الترجمة ؟ وكيف تغافله الدكتور « روبرت رينجر » إن صح ما ينقله صديقنا المترجم عنه

أما الفقرة الأخيرة من النشيد ، والتى يجد فيها المترجم سنداً لتأويله على زعمه ، فهذه الفقرة لا تؤيده فى رأيه بعد أن وضح التفسير الصحيح وإنما هى تؤيدنا فى تفسيرنا الذى ذهبنا إليه

أما ترجمة عبارة (سلاه) (حىّ على الصلاة !) ففيها نظرة؛ ذلك أن نيتشه كان إخصائياً فى الآداب العبرية . ومعروف فى الأدب العبرى أن لفظة (سلاه) ترد فى أواخر الأناشيد ، والدليل على هذا قائم فى سفر الأناشيد فى العهد القديم وقد ترجم إلى (سلاه) عربياً فى كلا الترجمتين اليسوعية والأميركية . هذا إلى أن نيتشه نقلها كما هى إلى الألمانية واختتم بها عبارات أناشيده . وظلت على نصها العبرى فى جميع التراجم مع ظهور مفهومها فى اللغة العبرية للجميع ، إذاً فليس هنالك وجه لأن يذهب المترجم ليفسرها بأن نيتشه يقصد بها (حىّ على الصلاة !)

أما تقدير الدكتور (روبرت رينجر) فلا قيمة له ، ذلك أنه يعرف عن نيتشه أنه متصل بالآداب السامية ، فلما وجد تفسيراً للكلمة فى العربية وافق المفسر فى رأيه ، وهو لو درى أن نيتشه كان وقوفه مقصوراً على آداب العبريين ، لعلم أن مفتاح الكلمة فى لغة العبريين وليست فى لغة العرب ، ومن هنا كان له أن يرفض تفسير المترجم !

وهنالك فى التمهيد الذى قدم به صديقنا المترجم مآخذ كثيرة نحصر الكلام هنا على أهمها وأ كثرها مجانبة للواقع

يقول المترجم :

(يريد نيتشه خلق الانسان المتفوق — يعنى السبرمان — جباراً كشمشون، وشاعراً كداود، وحكيما كسليمان. فهو يكلف الطبيعة مالا قبل لها به ويطمح إلى إيجاد جبابرة لا يصلحون لشىء فى المجتمع لأن الحيوية لا تنصرف من مختلف نوافذها الجسمية فى آن واحد دون أن تقبض على صاحبها لتوقفه من سلم الارتقاء على مرتبة معلقة بين الاعتلاء والانحطاط فيكون منه لا الانسان المتفوق بل الانسان « التافه » القصير الحياة والقاصر فى كل عمل يباشره .)

وهذا الرأى يصح ولكن إذا كانت القوة الحيوية فى الأحياء لا يمكن زيادتها فيهم حتى يكون من تصرفها من مختلف نوافذ الحياة مايجعل الحى يقف فى مرتبة التفوق من سلم الارتقاء . من هنا لا يصح هذا الاعتراض على نيتشه ، ذلك أنه يقيم فكرته فى مجىء السبرمان من ازدياد القوى الحيوية عن طريق ترك المجال للتنازع للبقاء فيبقى القوى الأصلح . وتعمل سنة الانتخاب على

تثبيت صفة القوة فى سلالات هذا القوى الذى خرج منتصراً من معمعة التنازع على البقاء .

يقول المترجم :

(من تبصر فى أحوال الناس وطرائقهم فى الحياة ، لا بد له أن يسلم أخيراً بأن لكل شخصية حياتها بما كمن فى حوافزها ولكل شخصية ميتتها بما خفى من أدواء جسمها وعلل إرادتها وبما وراءها من مقدمات وحولها من نتائج)

وهذا الرأى فكرة أولية يؤمن بها صاحبها فليكس فارس وتدور من حولها آراؤه فى الشرق والغرب ، وهذه الفكرة فيها عنصر من الخطأ ، وموضع الخطأ عدم ملاحظته العوامل والمؤثرات الطبيعية والاجتماعية التى تترك أثراً ثابتاً فى فطرة الأحياء يتكافأ مع حوافزهم الطبيعية . وقد جلينا فى سلسلة مقالاتنا المدرجة على صفحات (الرسالة) عن الغرب والشرق كيف تنزل جميع آراء صديقنا من هذه الفكرة الأولية ، وشرحنا أوجه الضعف بتفصيل فيها ، فلا داعى هنا للافاضة .

يقول نيتشه :

(إن مافطرنا عليه هو أن نخلق كائناً يتفوق علينا ، تلك هى غريزة الحركة والعمل)

ويعلق على هذا الكلام المترجم بقوله :

(ما هذه الفطرة التى يراها نيتشه رافعة الانسان إلى التفوق على ذاته وأنساله إلا حافز الحب وفى أعماقه غريزة الانتخاب تجتذب الزوجين إلى اتصال يشدد أحدهما فيه ماوهن فى بنية الآخر .)

وهو فى تفسيره هذا وتعليقه يحمل نيتشه أفكاراً لم تمر بخاطره فضلا عن أنه يخالف العلم الحديث بمقدراته .

يقول نيتشه إن غريزة الحركة والعمل فى الحياة تعمل لخلق كائن يتفوق على أبويه ، وهو فى هذا يماشى فكرة أن التطور مدفوع للارتقاء ، فاذا كانت الحياة هى الحركة والعمل ومجبولة على الارتقاء ، فاذن كل نتاج الحياة يتفوق على أصله . وهذه فكرة مستقلة بذاتها عن فكرة المترجم حين يقول: إن حافزة الحب بما فى أعماقها من غريزة الانتخاب الزوجى يجذب الزوجين إلى اتصال يشدد أحدهما فيه ما وهن من بنية الآخر

ومع هذا ففكرة المترجم واهنة لو نظرنا إليه من ناحية العلم البيولوجى ، ذلك أننا نعرف من بحوث الأستاذ جوليان هكسلى المعروف أن المظاهر الخارجية فى الحياة وخصوصاً الصفات « النفسية » وعلى وجه خاص الحب لا يتعدى أثرها « إحكام الروابط النفسية بين الأحياء بعد أن يهبط الميل الفسيولوجى إلى درجة العدم » . من هنا لنا أن نقول إن حافز الحب مهما كان له من الأثر فى إحكام الروابط النفسية بين الأحياء فانه لا يتعدى دائرة المظاهر الخارجية للحياة ولا يصل بتأثيره إلى العالم الداخلى فاذن رأى صديقنا المترجم يخالف مقررات العلم البيولوجى الحديث وأمانة البحث تضطرنا إن نقول إن بعض الباحثين إلى الآن لا يزالون يحملون بعض الظاهرات الطبيعية فى التناسل على الصفات « الروحية » ذلك أن هذه الفكرة بقية من آثار الرأى العامى الشائع فى أن للمظاهر الروحيــة أثراً فى تكوين الجنين . ويستحسن أن يراجع المترجم بحوث الأستاذ جوليان هكسلى فى هذا الموضوع

ومن هنا نرفض كل مانقله المؤلف من فصل (منابت الأطفال) من كتابه (رسالة المنبر إلى الشرق العربى) مقدرين أنه لا صلة بينها وبين الأبحاث العلمية الحديثة فى البيولوجيا

يقول المترجم :

(إن الدين الذى يهاجمه نيتشه إنما هو صورة لأصل شوهها الغرب)

وهذه الفكرة تدور فى كلامه، ذكرها فى كتابه (رسالة المنبر) مراراً ورددها فى مناظرته مى عام ١٩٣٧ وجاء يكررها على صفحات (الرسالة) أخيراً ، وها هو ذا اليوم يذكرها فى تمهيد يقدم به ترجمته لكتاب زارازوسترا . ومع كل هذا فالفكرة خاطئة فالغرب لم يشوه الدين الذي أخذه من الشرق ، وإنما كل مافعله أنه جعله يتكافأ مع طبيعته الحيوية الانسانية فأسبغ عليه صوراً ليست منــه ، ولكنها من طبيعته ، فكان من ذلك صورة للدين تغاير الصورة التى هى عليها فى الشرق

إذن فالتعبير بأن الغرب شوه الدين تعبيرخاطىء، وصحةالتعبير أن يقـال إن الدين الذى أخذه الغرب عن الشرق كيفه على حسب طبيعته حتى يقبله، وهذا التكييف إن اعتبر تشويهاً فى نظر المترجم

هو فى الواقع خلع للثوب الغيبى عن الأديان وجعله إنسانياً !

يقول المترجم :

(إن الدين قد أراد للانسان تكاملا روحياً يهيئه إلى إدراك باريه وراء المحسوس فى حين أن نيتشه ، وقد أنكر ما لا تقع الحواس عليـه ، أراد أن يفلت الانسان من حدود إنسانيته على هذه الأرض فيجعلها جنة خلد يستوي عليها بجبروته إلهاً ...)

ونحن نقول :

(إن نيتشه لم يفعل أكثر مما استلزمته عقليته الآرية وعقله الانساني المتحرر من تقاليد الماضى ، وهو لم يحاول أن يجعل الانسان يفلت من حدود إنسانيته بل عمل أن يرد الانسان لحقيقته فى عالم الطبيعة بعد أن حاولت الأديان أن تفلته من حدود الطبيعة وتجعله خاضعاً لما وراء الطبيعة ، حتى أصبح الانسان حيواناً ميتاً فيزيقيا)

إن وجهة النظر تفترق من اعتقاد ثابت بالغيب أو بانكار لها وإيمان باليقين الواقع ، ومن هنا فالفرق بيني وبين صديقى المترجم أنه رجل غيبي وأنا رجل ضد الغيبيات على خط مستقيم

والناحية الغيبية عند صديقى هى التى جعلته ينكر التطور كحقيقة بيولوجية إذ قال :

(إن المخلوقات كلها فى سلسلة الوجود لا تملك الانمتاق من حدود أنواعها مهما كرت القرون وتعاقبت الأجيال ، لا يمكن للجماد أن يفلت من مملكته إلى مملـكة النبات، ولا للنبات أن يجتاز حدود مملـكة الحيوان ولا الحيوان ، أن يجتاز مملـكة الانسان

لذلك كان الذاهب فى طلب إنسان يتفوق على الانسانية كالمحاول استنبات الشجرة حيواناً أو استبدال الحيوان إنساناً

لقد كرت القرون على مبدأ التاريخ الذى نعلم وعلى ما لا نعلم من حقب كرت ما وراءه ، والانسان لم يزل هذا المخلوق الدائر أبداً ضمن حلقة إنسانيته)

ويؤسفني أن يرجع صديقي فليكس فارس عن أفكار عصره القهقرى إلى أفكار القرون الوسطى

يقول أمين الريحانى فيلسوف الفريكة فى خطاب لصديقه وصديقى فليكس فارس على صفحات المقتطف :

(ألا إن فليكس لصديق عزيز قديم . وقد طالما ترافقنا فى جادات العقل والروح واتفقنا ، بل كنا دوماً فى طليعة الحملات حملات الحرية والعلم ، على معاقل الظلم والظلام

وإني لأرى فليكس اليوم فى غير تلك الطلائع والحملات ، إنى أراه اليوم واقفاً فى المؤخرة وهو يتلفت إلى الوراء ويجنح بعض الأحايين إلى جادات لا أثر فيها للعلم الحديث ، وللنزعات الفكرية الحرة ..!)

وإنى وإن كنت أوافق فيلسوف الفريكة فى الشطر الثانى من كلامه عن صديقى فليكس ، فانى لأشك فى صدق الشطر الأول منه ، فى وقوف صديقنا فليكس في طليعة حملات العلم ، ذلك أننى لا أتصور إنساناً يقف فى طليعة حملات العلم ولو قبل الحرب العظمى ويكون منكراً للتطور . لقد كان فليكس فارس فى طليعة حملات الحرية فى سوريا قبل الحرب، ولكن لم يكن فى طليعة حملات العلم . هذه حقيقة يجب أن نعرفها . إن كانت للصداقة واجباتها فان للحقيقة حقوقها ...

بالأمس كنت أقلب بين يدى كتاباً عن نظرية التطور عند القدماء لأوتو فولنجر الـكاتب الألمانى المعروف . وقد جمع مؤلفه فى القسم الثانى منه كل ما قاله كتاب العرب فى موضوع التطور واليوم انتبهت فاذا بصـديقى فليكس يرى التطور ويتصوره بالصورة التى جعله عليها إخوان الصفا وابن مسكويه منذ قرون . فيذهب للرد عليهم جانحاً إلي صور من التأمل والتخيل أبعد ما تكون عن أساليب العلم والعلماء

لا شك عندى أن صديقى فليكس يسير فى المؤخرة من سير الزمن ، يعيش بعقله فى عصر سابق لقيام النهضة الحديثة

إن الشخص الذى يتحدث عن المواليد الثلاثة وعوالمها وعن عدم إمكان الجماد أن يفلت من حدود عالمه إلى عالم النبات ، وعن عدم إمكان النبات أن يفلت من كونه إلي مملـكة الحيوان... إنما هو شخص يعيش بأفكاره فى العصور الوسطي ، ونحن لانرضى بمثل هذه الحياة لصديقنا ، ولكن ليس بيدنا من أمر!...

يقرر الصديق فليكس أن كرّ القرون وتعاقب الأجيال لا يُمَـكِّـنُ النوع من الانمتاق من حلقة نوعه ... فكأنى بالصديق أولا : من الذين يتصورون النشوء والتطور يجرى لطول الآماد وكرّ القرون وتعاقب الأجيال . ثانياً : أنه من الذين لم يقفوا على المباحث الحديثة فى التطور وخصوصاً تجارب

« مورغن » و « ملار » و « جوهانسن » حتى أنه يكرر القول بعدم أمكان النوع أن ينعتق من حلقة نوعه

أما عن التصور الأول فقد نبه إلى فساده من قبل « شارلس روبرت دارون » في كتابه أصل الأنواع ، إذ قال في الفصل الرابع (ص ٢١٨ من الترجمة العربية ، طبعة أولى و ج ٢ ص ٤٠ من الطبعة الثانية — ترجمة صديقنا اسماعيل مظهر) مانصه :

(إن كر الصباح ومر العشى ، ومضى الأزمان المتتابعة لايحدث فى الانتخاب الطبيعى أثراً ما إيجاباً أو سلباً . ولقد اضطررت إلى التكلم فى هذا المبحث لأن بعض الطبيعيين أيقن خطأ بأني أعتقد أن لمضى الأزمان وترادف العصور ، الأثر الكلى والجولة الواسعة في تغيير صفات الأنواع ، على قاعدة أن صور الأحياء عامتها كانت ممعنة فى تغاير الصفات بتأثير سنة طبيعية مؤصلة فى تضاعيف فطرتها بيد أن مضى العصور وتلاحق الدهور لا يتعدى أثرها تهيئة لظروف ظهور التغايرات المفيدة للكائنات الحية وانتخابها انتخاباً طبيعياً واستجماعها ثم تثبيتها من طبائع الصور العضوية ، ولا جرم إن لذلك أثراً بيناً ، غير أنه بعيد عما يتوهمون ، كذلك يعد مضى الوقت طبائع الكائنات الحية من حيث تأثيرها الآلى ، إلى قبول تأثير الحالات الطبيعية قبولاً مباشراً »

لقد كان صديقى اسماعيل مظهر يرد على جمال الدين الأفغانى مزاعمه فى هذا الموضوع بنفس هذا الكلام منذ خمس عشرة سنة . واليوم يدور دولاب الزمن ، وأقف أنا من سيره أعيد كلام صديقى فى تصحيح مزاعم الصديق فليكس .

أما عن الأمر الثاني فصديقى فليكس يظهر تماماً أنه لم يقف على حقيقة البحوث التطورية الحديثة ، وهو قد ظن أن الخلاف الذى نشب فى أوائل القرن العشرين بين مدرسة لامارك ومدرسة دارون ومدرسة وزمان دى فريس حول مجرى التطور إن دل على شيء فانما على أن نظرية التطور واهنة .

والواقع أن التطور اليوم خرج من حدود النظريات وأصبح حقيقة أولية فى علم الأحياء ، وإن كان هناك من خلاف فهو حول تفسير التطور والعوامل والمؤثرات التى تدفع إليه .

وليس من شأنى هنا أن أنقل للصديق فليكس آخر الآراء الحديثة في تفسير التطور ، فليس خلافنا معه على التفسير إنما على التطور نفسه ، فان الصديق فليكس ينكره كحقيقة علمية وهنا موضع الافتراق بيننا .

وإنى وإن كنت من غير المشتغلين بمباحث الأحياء فان وقوفى على مباحثه وقوفاً تاماً يسمح لى أن أقول مع شكسبير إننى مستعد لدفع ألف أسترلينى لمن يثبت ولو من وجهة نظرية أن التطور ليس حقيقة علمية !..

إنى مستعد لدفعها وبعد ذلك إعلان إفلاسى وكسر قلمى .. كما قال فى مسألة مماثلة من قبل جوجول .

وذهب صديقى فليكس إلى الخلط بين الالحاد والعدمية بين Athié و Nihilism ، فهو يقول : « الملحد هو الذى يرى أمامه ووراءه العدم والزوال » وهو فى ذلك يوافق الأديب الناقد الأستاذ عباس محمود العقاد رأيه فى أن « الملحد من يجحد الحياة وهو من هنا يريد أن يقول إن نيتشه نظراً لأنه لم يجحد الحياة » فهو مؤمن !

غير أنى أرى أن هـذا الرأى فى الالحاد توسع فى فهم معناه إلى أكثر مما يحتمله معنى الالحاد ، فان الالحاد عندنا « الملحدين » حالة سلبية بالغيبيات ، وناحيتها الايجابيـة اعتبار اليقينيات أساس المعرفة .

وأظن أن هذا الرأى يتسق مع مفهوم الالحاد أكثر من رأى الصديق فليكس وفكرة العقاد .

وبهذه المناسبة أحب أن ألفت نظر الصديق فليكس إلى ذلك الحديث الذى جرى منذ شهرين تقريباً على المائدة فى داره بينى وبين الصديق الدكتور حسين فوزى والدكتور محمود عزمى وأديب حلب سامى الكيالى ، وكيف انتهى بنا الحديث إلى أن الالحاد حالة غير حالة العدمية

ومن هنا لا أجد بدًّا لرد فكرة اعتبار الالحاد والعدمية وجهتين من النظر لا تختلفان

العدمى هو الذى جحدته حياته فجحدها ، وكثير من الملحدين عدميون ، ولكن هذا ليس بدليل على أن الالحاد والعدمية مظهران من حالة واحدة

هذه ملاحظات سريعة على التمهيد ، نوطئ بها الكلام عن نيتشه وفلسفته وقيمة تفكيره فى عالم الفلسفة وأثرها فى ألمانيا

(أبو قير) اسماعيل أحمد أدهم